318

HARLEQUIN

روايات أحلام

أحلام على صخرة الماضي

سوزان ستيفنز

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

أحلام على صخرة الماضي

لم تكن أناليزا ويلسون تتوقع أن ترث أرض "الفينكا" الرائعة، وها هي الآن تخطط لتعيد لها زهو أشجار الليمون التي كانت تغطيها. لكن جارها ذي الجاذبية المدمرة والنفوذ الكبير يقف في طريق تحقيق هذه الأمنية ...

رامون دي كريانزا بيريز رجل فاحش الثراء معتاد أن يحصل دائما على ما يريده.

لكن عندما رفضت أناليزا عرضه السخي لشراء الأرض أصابه سخط شديد وحيرة في أمر تلك الشابة الفاتنة العزيزة النفس.. وعندما عرفها أكثر ازدادت رغبته في الحصول على الأرض وصاحبتها.

وهو طبعا ... يحصل دائما على ما يريد!

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-194-6

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من *Harlequin Enterprises II B.V*

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة *Harlequin Enterprises II B.V.*

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
A Spanish Inheritance
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© Susan Stephens 2003
Translation © Dar El-Farasha - 2004
ISBN 9953 - 15 - 194 - 6

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين **Harlequin** العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة **Harlequin** هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

سوزان ستيفنز

كانت سوزان ستيفنز فيما مضى مغنية. أما اليوم فأكثر ما تعشقه هو القراءة وكتابة الروايات العاطفية. تعيش مع زوجها وأولادها في جو من الدفء العائلي وذلك في منزل صغير قديم، حيث تربي مجموعة من الحيوانات الأليفة، وهي تحب العزف على البيانو والغناء، كما تعشق ركوب الخيل والطهو والسفر وأعمال المطبخ.

ما إن تنتهي سوزان من كتابة قصة رومنسية حتى تبدأ بتخيل مواصفات بطلها للقصة القادمة، والذي سيكون، بلا شك، وسيماً، طويل القامة، وجذاباً، بالإضافة إلى تمتعه بذكاء حاد وروح مرحة.. تماماً مثل بطلة قصتها هذه: رامون دي كريانزا بيريز.

١ ـ عملية غزو

ـ هذا شاطىء خاص.

الصوت اللاتيني العميق الذي أظهر استهجاناً جعل المرأة الشابة تتعثر. ضاقت عيناها بسبب وهج الشمس، حين وقفت مستقيمة القامة، لترى نفسها تواجه صدر رجل قوي الجسم.

ردت أناليزا آلياً: «أنا آسفة..».

وأين هي اللوحة التي تقول إن هذا الشاطىء الرملي خاص بالرجال الاسبان المتعجرفين؟

ـ.. كنت فقط..

قاطعها: «فهمت ما كنت تفعلين».

ـ ليس هناك ما يشير إلى أن هذه المنطقة محظورة.

وقاومت لتبقى نظرتها ثابتة.. بدا أنه في أواسط الثلاثين.. وكانت قطرات الماء تلمع على جسمه البرونزي المتناسق. وارتجف قلبها وهي ترفع ذقنها لتتأمل جسمه الرطب، المفتول العضلات، ووجهه. لفتتها عيناه المثيرتان للعجب.. ليس من حيث اللون وحسب، بل والشكل أيضاً. أما رموشه السوداء فترمي ظلالاً على عظمتي خديه المنحوتتين بدقة.. كانت عيناه بكل بساطة، مؤثرتين جداً.

قال: «ألديك لوحات في حديقة منزلك؟».

www.elromancia.com

كان يتكلم بثقة هادئة كرجل اعتاد أن يحترمه الناس.

ـ لا.. لكن لحديقتي سياجاً.. وبوابة.

ولدهشتها ابتسم.. تقريباً.

ـ سجّلت نقطة يا آنسة..؟

ـ ويلسون، أناليزا ويلسون.

وأحست بحاجة إلى وضع ذراعيها على صدرها. ولم يكن السبب أن نظرته تركت وجهها أبداً، كما أنه لم يحاول التحرّش بها مثل معظم الرجال، لكن وجوده على بعد خطوات منها يجعلها متوترة جداً.

وابتسم.. لكن بدلاً من أن تشعر بالارتياح، جعلها لمعان الأسنان البيضاء في وجهه الوسيم، تشعر بارتباك أكبر.. ربما لهذا علاقة بالنظرة التي في عينيه والتي تدل على أنه يعرف عنها أكثر بكثير مما تعرفه عنه.

ـ يسرني لقاؤك أناليزا. إنه اسم جميل غير عادي.

ـ شكراً لك. والدي كان إسبانياً.

ـ حقاً؟

لِمَ يسأله هذا؟ ليس لديها فكرة.

قال وهو يمد يده: «رامون دي كريانزا بيريز».

أحست بأصابعه القوية تطبق عليها، فانتزعت يدها غريزياً.

ـ أنا آسفة إذا كنت أتطفل على أملاكك.. سأذهب..

سأل بحدة: «تذهبين؟ وكيف ستفعلين هذا؟».

ـ سأسبح كما فعلت حين أتيت.. حول تلك النقطة.

وأشارت برأسها نحو مجموعة صخور تقسم الشاطىء إلى قسمين.

ـ حول النقطة؟

عدم تصديقه أزعجها، فسألته: «ولِمَ لا؟».

ـ إنها خطيرة جداً!

ـ أعتقد أنني صاحبة القرار...

وتوقّفت عن الكلام.. لماذا بحق الله تحاول تبرير عملها لغريب؟

ـ وهل ستفعلين هذا؟

كان صوته كضرب السوط ينقصه السحر المتوسطي، لكن عينيه لا تزالان تلمعان بوميض يكشف عن اهتمام أبعد من حماية أرضه، وحدوده.

وشعرت أناليزا وهي تحدق إليه بحرارة وتوتر، لا علاقة لهما بالشمس.

قالت تجادله، وهي تنظر إلى مركب ضخم يرسو بعيداً عن الشاطىء: «حسن جداً.. أنت سبحت إلى هنا من ذلك اليخت».

وحين قيّمتها نظرته أحست بحرارة أكبر.

ـ لا بد أنك تعتبرين نفسك رياضية مميزة.

ـ أنا أسبح منذ الصغر..

ـ في بركة سباحة؟ البحر المتوسط ليس بركة سباحة أناليزا.

هل كان من الضروري أن يتشدق باسمها هكذا؟

وتابع: «هذه المياه يمكن أن تكون خطرة جداً.. والتيارات قرب تلك الصخور..».

تمتمت أناليزا: «لقد وصلت إلى هنا سالمة».

لكن تحدّيها كان يتضاءل أمام تصميم هذا الرجل وسيطرته. وأحست بنظرته الكئيبة تستريح على وجهها.

رفع يديه وكأنه يريد إنهاء الجدال: «إنه حظ المبتدىء.. تعالي، سأرافقك عبر أملاكي».

ـ أملاكك؟

إذن سيكونان جارين! وحرصت أناليزا على أن تبقي تعبير وجهها طبيعياً وهي تحاول استيعاب هذه المعلومات. وأحست بالذعر وهو يتقدم نحوها فتراجعت خطوة إلى الوراء.

ـ لا أحمل معي ثياباً جافة.

www.elromancia.com

توقف.. ومرّت نظرته المقيّمة حارة على كل جزء من جسمها.

ـ أنا واثق من أننا سنجد لك شيئاً ترتدينه في منزلي.

تفحّصه الوقح، واعتقاده بأنها ستطيعه على الفور، أحدثا موجات عاصفة في داخلها. ولم يكن خطر البحر ليقارن بالخطر الواقف على الشاطىء..

لكن ردة فعله كانت حادة كالسيف، فسدّ طريقها وقال: «سيأخذك سائقي إلى حيث تريدين».

ـ اسمع.. أنا واثقة من أنك تريد أن تكون لطيفاً..

قاطعها بنفاد صبر: «اللطف ليس غايتي.. فأنا أحاول أن أمنعك من ارتكاب غلطة أخرى».

وراقبت فكه يشتد فيما خطر لها أنها لم تعرف أنها ارتكبت غلطة أولى إلى أن التقت به. وأصرت تقول بحزم: «سأكون بخير.. السباحة هنا سهلة».

قال بحدة وهو ينظر إليها مباشرة: «ليس لدي وقت لهذا.. ودعوتي لم تكن مجرد اقتراح».

واستدار على حين غرة ليشير إلى ممر بين الصخور المرتفعة.

عرفت أناليزا أنّ لا خيار لديها سوى تنفيذ أوامره.. في الوقت الحاضر. واشتد ضغطها على فمها غاضبة من نفسها، ومن جارها الشرس.. لو أنها اعتذرت عن تطفلها على أملاكه، وقبلت عرضه، وتركت منزله، لانتهى كل شيء الآن. ولكن بدلاً من ذلك.. وانكمشت معدتها وهو يتقدمها. وأخذت تتأمل كتفيه العريضتين، وظهره المشدود، واضطرت لأن تعترف بكمال مظهره.

لم يكن التسلق سبب تقلّص معدة أناليزا، بل تعاظم الشك مع كل خطوة تخطوها، وهي تدخل إلى أملاكه.. الأعشاب والرمال والحصى، تراجعت ليظهر أمامها سلم بدا وكأنه نظّف حديثاً. وحين وصلا إلى قمة

المنحدر تقدم منهما خادم يرتدي بذلة بيضاء.

حيا رامون الرجل بهزة رأس أنيقة، ثم قال: «أرجو أن ترافق الآنسة ويلسون إلى إحدى غرف الضيوف، واحرص على تقديم بعض المرطبات لها قبل رحيلها».

واستدار بسرعة، ليقيّم أناليزا بنظرة: «أنا واثق من أن مارغريتا ستجد شيئاً مناسباً لترتديه».

وأخذ منشفة من الخادم، ووضعها على كتفيها. قاومت أناليزا لتتجاهل الاحمرار الذين باغتها حين لامست يده بشرتها. لفّت المنشفة بقوة حولها لتبعد عنها يد خيبة الأمل الباردة.. لعله أكثر الأشخاص الذين قابلتهم تأثيراً، لكنه غامض جداً أيضاً. وطريقته في لفظ اسم «مارغريتا» دلت على أن هذه المرأة تعني له الكثير.. ها هي تتصرف بسخف! فهي لا تعرفه إلا من خمس دقائق.. وها هي مخيلتها تطلق العنان لنفسها!

هز رأسه فجأة، مشيراً إلى نهاية المقابلة: «أديوس أناليزا».

ظللت أناليزا عينيها بيدها وراقبته وهو يشق طريقه بعزم نحو القصر الأبيض المهيب. وأحست أنّ حياة رامون دي كريانزا بيريز، تختلف عن حياتها بقدر ما يمكن أن تتخيل. لكنها أحست بالحاجة أيضاً إلى إثبات ذاتها وشخصيتها أمام جارها المتوسطي المتكبر.

لكن سعالاً خفياً لفت انتباهها، فاستدارت مبتسمة نحو الخادم الذي أخذ يتجه نحو المنزل بخطوات قصيرة سريعة تشير إلى أنّ لديه أمور أكثر أهمية يفعلها.

صعدت السلم الرخامي للفيلا خلف دليلها الواثق الخطى، وألقت بضع نظرات فضولية نحو الأبواب المغلقة.. أحست أن من يعيش في مثل هذا المكان يجب أن يكون رابط الجأش مثل رامون.

كان المنزل الكبير صامتاً تماماً.. وربما كان فارغاً. لكن حين فتح الخادم باباً وأدخلها إلى غرفة مذهلة تطل على البحر، عرفت أن المنزل مأهول

www.elromancia.com

دون شك.

جسم مارغريتا لا يشابه جسمها.. أدركت أناليزا هذا وهي تلتقط ثياباً داخلية حريرية بلون الزفير، وارتجفت حين قرأت العلامة التجارية. وجدت قميصاً بلون العاج كان لا يزال في لفافة المحل كما لمحت بعض الأحذية الجلدية مصفوفة على الأرض.

انتظرت أناليزا إلى أن أغلق الباب، وخلعت البيكيني بسرعة. كان ارتداء ثياب كهذه تجربة لذيذة ومثيرة.. وكأنها تخطو إلى عالم آخر.. لكن ماذا بعد؟ ونظرت حولها في الغرفة الرائعة.

ولم تنتظر طويلاً لتعرف، فقد دُق الباب ودخلت فتاة صغيرة في ثياب رسمية.

سألت الخادمة: «أنت جاهزة سنيوريتا؟».

فتحركت مترددة على عتبة الباب: «أجل. شكراً لك، وسأعيد الملابس».

فقالت الفتاة بلهفة: «لا سنيوريتا. سنيورا مارغريتا ترغب في أن تحتفظي بها».

احتجت أناليزا: «لكن هذا مستحيل».

هزت الخادمة كتفيها وكأن هدية الفتاة السخية لا أهمية لها: «لدى السنيورا الكثير من الملابس».

ثراء كهذا من الصعب تخيله.. مع ذلك يجب أن تحاول.. فقد ورثت من حيث لا تدري قطعة أرض كبيرة في مايوركا.

ترددت أناليزا للحظة، ولو كانت لغتها الاسبانية أفضل لطلبت من الخادمة أن ترتب لها لقاء مع مارغريتا.

ولحقت أناليزا بالخادمة.. كل ما له علاقة بمايوركا، معضلة بالنسبة إليها. والسبب الوحيد لأخذها إجازة من مكتب المحاماة الصغير حيث تعمل، هو حل المعضلات لا خلق المزيد منها. لقد جاءت إلى الجزيرة

لكشف حقيقة والدها الاسباني، وليس لتتورط في حياة أغنياء الجزيرة. أرادت أن تكتشف ما الذي دفع نبيلاً إسبانياً لأن يترك لها أملاكاً واسعة في حين أنه تخلى عن أمها لحظة اكتشف أنها حامل.

لم تكن تستطيع في حياة أمها أن تطرح الأسئلة المناسبة، فقد كان هناك تفاهم سرّي بينهما يحرّم بشدة كل حديث عن الماضي. لكن الأم ماتت بعد سماعها خبر موت السنيور فويغو مونتويا، ما دفع أناليزا لبدء حملة تفتيش خاصة.

وها هي هنا.. تشعر بعدم ارتياح متزايد وهي تلحق بالخادمة على السلم الرخامي العريض، في منزل رجل قد يكون من دون مبادىء مثل أبيها.. لكن، لحسن الحظ، لم يكن هناك أيّ أثر لجارها الغامض.

ربما لن تراه مرة أخرى.. ولعل هذا سيكون أفضل. الحلم بطريقة حياة مارغريتا ولو لوقت قصير، تجربة مذهلة. لكن أناليزا عرفت أنها لا تستطيع أن تسمح لرامون بيريز بأن يقف في طريقها.

استلزمت العودة إلى «الفينكا» بعض الوقت في السيارة، فثمة طريق معبّدة واحدة تمتد على طول الجزيرة، ولا يمكن الوصول إلى أيّ بستان إلا بالعودة أولاً إلى الطريق الرئيسية. وأجفلت أناليزا بينما كانت الليموزين تقفز من حفرة إلى أخرى على الطريق وصولاً إلى منزلها الجديد.. وشعرت بالحرج حين سمعت كلمة «كاروتشا» بين الكلمات التي راح السائق يتمتم بها من بين أنفاسه.. قد تبدو «الفينكا» كزريبة بالنسبة إليه.. لكن، ما إن ينتهي العمل فيها..»

في الواقع، عليها أن تصلح هذه الطريق لو أرادت أن ترفع قيمة أملاكها الفعلية في السوق وبحسب قول سمسار العقارات، ثمة عروضات عدة جاهزة.

لكن حتى وإن فاقت بعض الإصلاحات قدرتها المادية، فما من ضرر في صرف قدر ما تستطيع كي تجني الحد الأقصى حين تقرر أن تبيع.

www.elromancia.com

ومع ابتعاد سيارة الليموزين، لفتها غمامة من الغبار الأبيض الناعم. وهذا ما دل على أن الجدران منهارة وكذلك السقف، وإذا لم تصلحها قبل موسم المطر، فالمكان كله سيغرق.. لكن بالرغم من هذه المشاكل، ثمة شيء مميز جداً في الحجارة المعتقة بلون العسل.

صيحات إثارة لفتت انتباه أناليزا إلى ضيف جديد انضم إلى حيواناتها المتزايدة.. وخفف الترحاب خطوط القلق التي ارتسمت على وجهها منذ الصباح، وحلت مكانها ابتسامة. إن الحياة في «فينكا» على وشك أن تبتدأ من جديد.

نظرت أناليزا حولها في الفناء الريفي المرصوف بالحصى الكبيرة، إلى المهمات الرهيبة التي تنتظرها. كان انطباعها الأول حين دخلت، أنّ المكان مظلم وساكن، لكن هذا لم يزعزع عزيمتها.

ما كان يوماً بيتاً عائلياً رائعاً، بدأت تظهر آثاره بسرعة في نوعية الأثاث، وفي مجموعة مثيرة من اللوحات التي تغطيها خيوط العنكبوت. وتملّكتها رغبة في بث الحياة فيه مجدداً.. في فتح النوافذ الخشبية، وتنظيف كل زاوية، وتلميع الزجاج، إلى أن يشع المكان وينبض بالحياة.

أغمضت عينيها للحظة، وأخذت نفساً عميقاً. ما بدأته ستنهيه. لقد جاءت من مكان بعيد جداً، من مكتب محاماة صغير، في بلدة مغمورة في شمالي انكلترا. وهنا أدفأت الشمس وجهها، وأحست بالحياة.

بعد أن خلعت ثيابها الأنيقة، وارتدت بنطلوناً قصيراً قديماً وقميصاً، اتجهت أناليزا إلى المطبخ، وجلست إلى الطاولة الصدئة، لتكتب رسالة شكر قصيرة للسنيور والسنيورا رامون دي كريانزا بيريز. لكن الأفكار والانطباعات اجتاحت دماغها.. ولم يكن لأيّ منها علاقة بالرسالة المختصرة التي خططت لكتابتها. أحسّت بالغضب من نفسها، فبطريقة ما، تسلل رجل متزوج عبر دفاعاتها، وهز شعوراً عميقاً في داخلها.. شعور أساسي، انطلق كجهاز إنذار في قلبها.

لكنها رأت والدتها مهجورة مريرة ولا تنوي أن تسير على الدرب نفسه: فهو درب كئيب لا يقود إلا للمزيد من الحياة الفارغة والوعود الكاذبة.. وبنفاد صبر، أعادت اهتمامها إلى قطعة الورق البيضاء على الطاولة أمامها.

أجبرت القلم على التحرك، وخطت الكلمات التي ستوصل امتنانها، ثم ختمت المغلف، ووضعته إلى جانب الساعة، وسوف ترسله بالبريد لاحقاً. لكن ثمة أمور لا تحتمل التأجيل، وسوف يحضر ممثلها القانوني في الجزيرة بعد أقل من ساعة.

أخذت ورقة، وبدأت تكتب لائحة بالمواضيع التي تريد مناقشتها..

ـ لكن، سنيوريتا ويلسون. ليس لديك المال الكافي لمثل هذه الإصلاحات التي سجلتها، فلماذا لا تقبلين العرض السخي المقدم، وتشترين لنفسك مكاناً مناسباً أكثر؟

ـ قررت ألا أبيع.

ـ لن تبيعي!

كانت أناليزا واثقة من أن المحامي المعروف لا يمكن أن يبدو مصدوماً أكثر حتى ولو حاول، وأكملت مؤكدة بصوت مصمم: «وهذا قراري النهائي».

أصر بطريقة مأساوية: «لكن لا! هذا مستحيل.. كيف..».

أحست أناليزا بصبرها يتبخر، وبدأت تقول بحزم: «دون الفونسو، لطالما عملت لأعيش، وسأتابع حياتي على هذا الحال».

فصاح المحامي بزعب: «تعملين؟ لكن لو بعت الفينكا لن تضطري للعمل».

ـ لكنني أريد أن أعمل.. وساعدني دون ألفونسو، ظننتك تعمل من أجلي.

أصرّ بحرارة: «أنا أفعل هذا. لكن من واجبي أن أقول لك إنك لو كنت ابنتي..».

ردت أناليزا بحدة: «أنا لست ابنة أحد!».

وندمت على ما قالت فور خروج الكلمات من فمها.

فذكرها دون ألفونسو بوقار: «أعرف أن والدك توفّى سنيوريتا ويلسون».

قالت أناليزا في سرّها بمرارة: ولطالما كان كذلك بالنسبة إليّ. وقاومت لتعيد تنظيم أفكارها.

ـ أعتذر دون ألفونسو. بالطبع، سأكون دوماً ممتنة لوالدي لأنه أورثني «الفينكا».

حتى لو لم يعترف بي في حياته.. وأكملت: «إعلم أنني مصممة على البقاء هنا، وأنوي إصلاح المنزل كما سأستغل بساتين البرتقال، ما سيفيد أهل القرية كلهم».

صاح المحامي المسن بذهول كامل: «بساتين البرتقال؟ لكن ماذا تعرفين عن إنتاج الفاكهة؟».

ووفر عليها إحراج الإعتراف بأنها لا تعرف شيئاً، وأخرج منديلاً أزرق من جيبه الأعلى، وأضاف: «أنا لا أقصد الإهانة».

ـ لا بأس.

ـ لكن حتى لو قررت المضي في ذلك فلا يمكنك القيام بمثل هذه المهمة وحدك.

ـ لماذا؟ لأنني امرأة؟

تردد طويلاً بما يكفي لتعرف أناليزا أنها لامست وتراً لاتينياً حساساً.

قال بإصرار: «ليس لديك ما يكفي من مال».

ـ أستطيع إنجاز الكثير من الأعمال بنفسي، وسأطلب النصيحة في القرية.. أنا لا أخاف العمل الشاق.

ـ العمل الشاق لا يقلقني..

ـ وسأجد المال بطريقة ما.

بدا دون ألفونسو غير مقتنع وهو يهز رأسه: «أنا لا أشك في نواياك الطيبة سنيوريتا ويلسون».

سألته: «إذن.. ماذا يقلقك؟».

ـ سلطة ومركز العائلة التي ستقفين ضدها. أرجوك... فكّري جيداً قبل أن ترفضي عرضهم السخي.

ـ لا أنوي قبول أي عرض، وأنا لا أحتاج إلى مزيد من الوقت.. لقد قررت.

ـ أتوسل إليك إعادة النظر..

ـ لا أفهم سبب تصميمهم على شراء هذه الأرض الآن بينما تركت مهملة لسنوات.

قال دون ألفونسو: «كانت بين يدّي والدك قبل أن يموت، ولا أحد يعرف لماذا أصر على التمسك بها، رغم العروض الكثيرة التي تلقاها..».

ـ ورفضها؟

ـ أجل.. لكن..

ـ كما سأفعل أنا.

هذا الشعور المفاجيء بالتوافق مع والد هجرها قبل أن تولد لم تعرف من أين جاء.

صدر عن الدون ألفونسو صوت مذهول، ثم تمتم من دون وعي: «لا أستطيع أن أفهم..».

ـ وأنا لا أستطيع أن أفهم لماذا تفضّل مصلحة أي كان على مصلحتي.

بدا غاضباً، لكن حين تكلم مرة أخرى كان يهمس: «نحن نتكلم عن إحدى أقوى العائلات في اسبانيا، ويقودها رجل لا أتمنى أبداً إغضابه».

حسن جداً.. إذا كان يسعى لإخافتها، فقد أخطأ الهدف، وشدت على فمها بحزم: «قد تشعر بالحاجة إلى إطاعة هذا الرجل دون ألفونسو، لكنني لست مضطرة لذلك».

www.elromancia.com

ـ ليس لديك فكرة عما ستتحملين.

تحدّته: «أخبرني إذن. ضع اسماً لخصمي، إنه ليس مجرماً أسطورياً، كما أعتقد؟».

أحنى المحامي المسن رأسه بوقار: «لا سنيوريتا ويلسون. نحن نتكلم عن رجل مميز له دماغ كالفولاذ وإرادة من حديد.. وأخشى أن تجدي رامون دي كريانزا پيريز خصماً مخيفاً جداً».

ولان فم أناليزا العريض.. بشرة لوحتها الشمس، وعضلات مشدودة، هي الصور الأولى التي خطرت لها.

ردت شاردة الفكر: «إنه ليس ذلك الوحش».

ـ وهل تعرفينه؟

صمتت تختار كلماتها بحذر: «.. التقيت السنيور پيريز لوقت قصير، وبدا لي متمدناً تماماً..».

ـ سامحيني سنيوريتا ويلسون. لكنك سيدة شابة في منتصف العشرين، وتجربتك محدودة..

ردت أناليزا بحدة: «أنا امرأة عاملة وحاصلة على درجة إجازة في القانون».

ـ وستكونين غير حكيمة أبداً لو استخفيت برامون پيريز.

وسأكون غير حكيمة أبداً لو فكّرت فيه على أي وجه.. فهي تعلم أنها ستغرّد خارج سربها، كما أنّ رامون پيريز رجل متزوج: «سأتعامل مع سنيور كريانزا پيريز كأي شخص آخر تماماً».

هزّ دون ألفونسو رأسه: «أخشى ألا تكون هذه خطة فعّالة».

ـ حسن جداً.. سنضطر إذن إلى إيجاد طريقة لجعل سنيور پيريز يفهم أن «فينكا» ليست للبيع دون ألفونسو. هذا منزلي وأنوي البقاء فيه لما تبقى من حياتي.

ـ فليكن هذا سنيوريتا ويلسون.. إذا كانت هذه تعليماتك..

قالت أناليزا بحزم: «إنها كذلك دون ألفونسو».

كانت أناليزا في الفناء الخارجي حين توقفت السيارة السوداء الرياضية، فردّت شعرها الكثيف إلى الوراء، ومسحت وجهها بذراعها وهي تنتظر جلاء غيمة الغبار. حين رأت القادم نحوها، أجفلت. فماذا يفعل رامون پيريز هنا بحق السماء؟ ولماذا قررت اليوم من بين كل الأيام أن تقلد النساء المحليات في اللباس؟

وراح دماغها يعمل بسرعة، ليقدّم الأعذار..

ناداها رامون وهو يتقدم نحوها: «بوناس دياس سنيوريتا!».

وهو يقترب، تمكنت من أن ترى فمه المثير يتكور في شبه ابتسامة، ثم تفحصها من رأسها إلى قدميها وقال معلقاً برضى: «تعجبني ثيابك».

هذا ليس اللقاء الذي كانت تتوقعه! فقد أعطت دون ألفونسو تعليمات ليرتب لقاءً مختلفاً تماماً، لقاءً بارداً وسط البلدة في مكتبه القديم الهادىء.. وهي ترتدي بذلة!

أملت أن يكون صوتها عفوياً لتخدع رامون فيعتقد أنها رابطة الجأش وقالت: «شكراً لك».

وملست القماش المجعد وشدت القميص القطني الذي كان يوماً أبيض اللون، فيما استدار ليتفحص المباني الخارجية المختلفة قبل أن تتاح لها فرصة تفحص أساريره.

كان وجوده مؤثراً، وتمنت أناليزا لو تستطيع أن تسترخي.

قال: «أمامك الكثير من العمل، فهذه الحظائر لا تبدو آمنة، يجب ألا تضعي أيّ حيوانات فيها».

ـ ليس لدي النية في أن أفعل هذا.

وتمنت لو تستطيع إبعاد الحدة من صوتها، لكن منظر اليدين السمراوين القويتين المدسوستين في جيبي بنطلونه الجينز...

رد على جوابها الحاد بسخرية: «أعذريني أناليزا، أنا واثق من أنك

www.elromancia.com

ستلتزمين الحذر. ولم أقصد أن أتحداك».

لكن عينيه قالتا العكس إذ راحتا تراقبانها بتسلية بينما هو يمرر يده في شعره ليرتبه.

وعرفت أن بشرتها الشاحبة فضحت مشاعرها في لحظة غير مناسبة أبداً.

ـ إذن.. لماذا أنت هنا سنيور پيريز؟

شدت ابتسامة إحدى زاويتي فمه: «ظننت أن هذا واضح».

وحين لم ترد أكمل شارحاً: «لأراك بالطبع».

ـ أنا؟

كان ينظر إلى عدم ارتياحها باهتمام.. أو هكذا ظنت.

وأطرق برأسه قليلاً: «جاء دون ألفونسو ليراني.. ليرتب لقاء بيننا، لمناقشة حقوق المياه».

أجفلت أناليزا، ولم يكن بحاجة لقول المزيد... الماء إذن هو مصدر الخطر عليها! وإذا أرادت إصلاح بساتين البرتقال، فإن المياه العذبة تأتي عبر أرض رامون.

قالت موافقة بسرعة: «في البلدة.. في مكتبه.. وليس هنا».

ـ ولماذا ليس هنا؟

رفعت كتفيها، وكأنما تشير إلى رفضها أن تنجر إلى نقاش بعيداً عن محاميها.

ـ لماذا أتيت حقاً سنيور پيريز؟

أحنى رامون رأسه وتأملها بنظرته اللاذعة: «لأتأكد من وصولك إلى بيتك سالمة».

قالت أناليزا بارتباك: «آه.. أجل. لا يمكن أن أشكرك ومارغريتا بما يكفي..».

لوّح بيده وكأنه يسكتها ثم قال وهو يفتح قبضته الضخمة ليكشف عن ثوب سباحتها: «ولأرد لك هذا».

أفلت صوت حاد ما بين التنهيدة والتأوه من بين شفتيها، وهي تتقدم لتأخذه منه. لكن ما إن مدت يدها حتى أمسكها.. وللحظة طويلة، وقفا من دون حراك، ثم تمتم: «هل ترغبين في اللهو معي أناليزا؟».

اقشعر جسمها وثارت أحاسيسها. لم تتمكّن من رؤية تعابير وجهه، إذ لم تجرؤ على رفع عينيها عن قميصه.. هل يتكلم عن حقوق المياه.. عن بيع «الفينكا»؟ أم عن أمر آخر.. أمر على مستوى شخصي؟ هذه الفكرة الأخيرة جعلتها تهز رأسها بحزم وهي تقاوم لتبقى منيعة أمام رجولته الفياضة. وشعرت بحرارة مختلفة تماماً عن حرارة منتصف النهار، حرارة استهدفت أحاسيسها بشكل لا يلين.

قال بصوت أجش، بحيث ارتجفت رغماً عنها: «هل تحبين اللهو؟».

وكأنه تلقى الرد الذي يسعى إليه، ضحك.. وتركها.

قالت أناليزا وهي تقاوم لإخفاء ارتجافها: «أعتقد أنك من يلعب. على أيّ حال، شكراً لك لأنك أعدت لي..».

قاطعها رامون، وكأن ما جرى بينهما عادي: «أحسست بالفضول وأردت أن أرى بنفسي حالة أملاكك».

كيف يمكنه تغيير الموضوع بهذه السهولة؟ وقاومت أناليزا لتستعيد توازنها وهو يتحرك مبتعداً عنها.

لو أراد الدون ألفونسو أن يثبت لها أن رامون پيريز يختلف عن أي رجل آخر عرفته، فما كان بإمكانه تدبر استعراض أفضل. وتخبّط قلبها في صدرها.. فيما بدا قادراً على البقاء بعيداً ومسيطراً تماماً على نفسه.

بدا التصميم على فمها وهي تقيّمه. الاعتراف بالجاذبية التي تشعر بها كافٍ لجعلها تشعر بالذنب.. لكن الذنب إحساس لا يعرفه رامون پيريز.. وإلى الجحيم بالعرفان بالجميل! آن الآوان لتعيد دماغها إلى العمل، فقد أثبتت جولته في الفناء أن هذه الزيارة ليست سوى عذراً للمراقبة.. لوزن الخصم. لكن على الأقل هذا هو النوع الذي تفهمه.. وتتعامل معه. كل ما

www.elromancia.com

يهتم به رامون بيريز هو الاستيلاء على «الفينكا» بأقل سعر ممكن.

سألته أناليزا: «هل رأيت كل ما جئت لتراه؟».

ـ حتى الآن.. وأنا مسرور لأنني جئت..

ردّت بحدة: «لتقيّم الخصم؟».

ترك الصمت يطول بينهما للحظات، وحين تكلم كان صوته مرحاً نسبياً: «الخصم.. أناليزا؟».

واخترق التحدّي في كلماته دفاعاتها، ليطلق فيضاً من الأحاسيس في جسمها المتوتر. عليها أن تخوض المعركة بحذر أكبر.. إعرف عدوك.. ولا تكشف أوراقك كلها دفعة واحدة.. وما يعرفه رامون هو أنها مجرد فتاة ريفية تقف في طريقه.. إنها هدف سهل ومن الأفضل أن تترك الأمور على حالها بدلاً من أن تعطيه أي فكرة عن خططها.

الخطط؟ وتأملت أناليزا الأرض بينما تابع رامون تفحصها. أحلامها كثيرة.. لكن ليس لديها خطط.. ليس بعد. يجب أن تعرف بالضبط ماذا يلزم لإعادة تشغيل بساتين البرتقال، والأمر الوحيد الذي كانت واثقة منه هو أن لا شيء يمكن إنجازه من دون الماء العذب الذي يجري عبر أرض رامون.

وفجأة، صدمتها ضخامة المهمة التي تنتظرها.. آخر ما تحتاج إليه هو أن تلفت انتباه رامون إلى أنّ الأمور كلها تعتمد عليه.. أو أنها تجهل كل ما يتعلق بإنتاج الفاكهة. عليها أن تُظهر مزيداً من الثقة بالنفس، وأن تتصرف بشكل عملي.. وأن تعالج موضوع المياه حين تكون دفاعاته ضعيفة.

قالت تقترح: «هل ترغب في تناول شراب بارد؟».

واتجهت نحو المنزل، فيما راح قلبها يضرب بشدة بحيث أصبحت واثقة من أنه يسمعه. ربما سيلحق بها.. الثقة بالنفس جيدة جداً لكنها لا تزال في مرحلة نظرية!

ومع وصولها إلى الباب الأمامي الحديدي أحست أنه خلفها تماماً.

تمتم: «سأحب أن أشرب شيئاً.. إذا لم يزعجك هذا!».

ـ ما من إزعاج أبداً.

وحاولت تجاهل القشعريرة التي أخذت تمتد على عمودها الفقري.

ما إن أغلقت الباب خلفهما حتى عرفت أنها أخطأت، فوجود رامون داخل أربعة جدران بدا وكأنه غزو لكل ركن..

التفتت إليه بوجه بارد، فوجدت نفسها عالقة في فخ عينين سوداوين خطرتين.. وبدا أنّ دهراً مرّ قبل أن يستدير ويتنشق الهواء بعمق ورضى.

ـ لقد نفخت الحياة في هذا المكان القديم.

إذن، لقد زار الفينكا من قبل.. على الأرجح ما إن مات والدها.. وبالرغم من المساوىء كلها، كانت فخورة بما حققته، وهو أول شخص يرى هذا التغيير.

أبقت المكان بسيطاً، ومتماشياً مع محيطه الريفي. كانت أرضية المطبخ من الحجر الطبيعي، وقد فرشت بساطاً متعدد الألوان وسط الغرفة. ووضعت سلة كبيرة مليئة بالفاكهة على الطاولة الخشبية، وسلة أخرى تحتوي على خضار. أما النوافذ فغطتها بستائر بسيطة، وزيّنت حافتها بمجموعة من النباتات والأعشاب المطيّبة.

ـ أهنئك.. لقد تأثرت.

أمديح هذا؟ واسترخت قليلاً: «ماذا تحب أن تشرب؟».

ـ ماء مثلج.

راقبته من زاوية عينها وهي تحضّر له كأس الماء.. راح يجوب المكان، يمرر يديه على الجدران، ويتوقف بين الحين والآخر ليضرب عليها بقبضته.. وتشوّشت أفكارها بسبب تصرفاته هذه.

أخذ يتأمل السقف، وسمعته يتمتم مفكراً: «يجب إكمال التصليحات الأساسية قبل الشتاء».

وسمعت أناليزا نفسها تجيب بحدة وهي تعطيه كوب الماء: «سبق ووصلت إلى هذا الاستنتاج سنيور بيريز».

www.elromancia.com

الابتسامة الخفيفة كانت الدليل الوحيد على أنه سمع رنة صوتها الخشنة، وقال بكياسة: «أنا واثق من ذلك.. لماذا لا تناديني برامون يا أناليزا؟ تبدو عبارة سنيور پيريز رسمية».

وصاح التعقّل فيها أن تبقي العلاقة بينهما رسمية، لكن كرامتها أصرت على أنهما متساويان. فلماذا لا تناديه باسمه الأول؟ لم يجد صعوبة في استخدام اسمها. ولاحظت أناليزا أنّ يديها ما زالتا ترتجفان.. فغزو رامون لهذا المكان الخاص بها أثار أعصابها أكثر مما كانت تتوقع.

وتجنّبت نظراته وهي تضع بعض الثلج في كوب الماء. شربت، تستمتع بالإحساس البارد في جسمها، الذي ارتفعت حرارته بشكل خطر.

قال رامون: «أنت من طلبت اللقاء بيننا».

ـ أجل.. لكنني لم أقترح عقده هنا.. والآن.

النظرة التي رمقها بها دلت على أنه رجل لا يعرف كلمة لا، وقال على الفور: «حسن جداً.. فلنجعل اللقاء على العشاء».

* * *

٢ ـ الأب الغامض

ـ العشاء!

قال رامون بإصرار: «لِمَ تبدين مصدومة هكذا؟ أنا أقترح فقط وجبة خفيفة.. سمك طازج».

هبّت أناليزا تقول: «ألا تظن أن الوقت مبكر للاحتفال؟».

قال بواقعية: «كلانا يجب أن يأكل. وإذا فعلنا هذا معاً فيمكننا أن نناقش الأمور. هذا إذا لم يكن لديك خطط أخرى بالطبع؟».

حاولت التفتيش في دماغها عن عذر ما، لكن كل خلية منه كانت معطّلة.

ـ حسن جداً.. لا.. ليس لدي خطط. لكن..

ارتفع حاجبه بتحدٍ ساخر: «لكن؟».

كيف يمكنه أن يسأل؟ وتشجّعت لتسأل: «ماذا عن مارغريتا؟».

قطّب: «مارغريتا في انكلترا حالياً. وقد أسفت لأنها لم ترك في المنزل. كانت توضب حقائبها.. حسن جداً أناليزا؟ ما هو ردك؟».

كررت: «ردّي؟».

وتسمرت لرؤية أصابعه السمراء النحيلة تمر كالريش على إحدى نباتاتها.

قال بحدة أكبر: «العشاء.. الليلة».

هذا فرض، وليس سؤالاً. وإن لم يعمل دماغها بسرعة... فقالت:

www.elromancia.com

«لا أعتقد أن مارغريتا . . ».

قاطعها بنفاد صبر: «وما دخل مارغريتا في هذا؟».

ـ لكنها . .

ـ مارغريتا لا تتدخّل في عملي.

ـ لست واثقة . .

قال يسأل غير مصدق: «لست واثقة؟ ظننت أنك ستكونين متحمّسة بقدري لمناقشة مستقبل فينكا فويغو مونتويا».

وهدأت ضربات قلب أناليزا قليلاً . . فاقتراح رامون أن يتفاوضا على العشاء أمر ملائم تماماً لكليهما.

قال بحدة: «أريد رداً. أو إذا كنت تفضلين، فسنترك الأمر لمحامينا للوصول إلى اتفاق».

وكان يعرف أنها لن توافق على هذا، فهي الآن متعلّقة بالفينكا.

ـ لا . . أنا أفضل أن أحلّ هذا الأمر بنفسي.

ارتفع حاجبه بشكل مؤثر: «كما تشائين».

مراقبته لها تبعث فيها عادة عدم الارتياح. أما وجوده الرجولي الآن فقلّص الغرفة حولهما، وأجبرها على النظر مباشرة إلى عينيه المثيرتين.

عليها أن تقول شيئاً، فرفض عرضه سيجعلها تبدو ضعيفة. وبادلته التحديق بضع لحظات، ثم وافقت ببرود: «قبل أن نورط المحامين، لا ضرر من مناقشة بعض النقاط.

ـ لا أوافقك الرأي. يمكننا القيام بذلك على العشاء، وما إن نصل إلى تفاهم، حتى نعطي التعليمات لمحامينا.

وازدادت ابتسامة أناليزا ثقة، فهو الآن يتكلم لغتها. لكن بقي أن ترى ما إذا كان تدريبها كمحامية يؤهلها لخوض معركة مع رامون بيريز. قالت بحزم: «سيكون العشاء رائعاً».

هز رأسه بشكل رسمي: «عظيم».

واستدار نحو الباب.

انتظرت إلى أن ابتعد هدير سيارة رامون، لتركض إلى الطابق الأعلى وتبدّل ملابسها. فلا داعي لأن تدخل في نقاشات إذا لم يكن لديها فكرة عن كيفية استخدام مياهه. ولم تكن تنوي أن تبدو بلهاء. فما بدأته رحلة قصيرة لتريح شبح والدها الاسباني وتبيع أملاكه، ثم تعود إلى انكلترا، تحوّل فجأة إلى أمر مختلف تماماً. فقد التزمت بإعادة الحياة للفينكا، وهي لن تتراجع.

أخرجت ثياباً نظيفة من خزانتها، ولبستها ثم أسرعت إلى الخارج. فلا بدّ أنّ بعض من عملوا سابقاً في الفينكا لا يزالون أحياء، وستسعى لطلب النصيحة منهم.

سارت فوق الرصيف الضيق . . وتوقفت أمام الفرن، من دون أن ترى حقاً صفوف الحلوى اللذيذة. فقد كان دماغها مشغولاً بما ينتظرها.

ـ سنيورينا؟

المرأة النشيطة وراء منصة البيع كانت أفضل إعلان عن حلوياتها الطازجة ذات الرائحة الشهية.

قالت أناليزا وهي تهز رأسها وكأنها تريد إعادة بعض التعقل إليه: «لا أعتقد . . لا . . ».

لن تفهم صاحبة المحل كلامها الذي يمزج الاسبانية بالإنكليزية على الأرجح.

ـ كيف أستطيع أن أساعدك سنيورينا؟ ما رأيك بهذا؟

تراجعت أناليزا وهي تنظر إلى قطعة الكايك بالشوكولا التي كانت المرأة تمسك بها، ثم انتزعت عينيها عن القطعة اللذيذة، وصاحت مبتهجة: «أنت تتكلمين الإنكليزية!».

ـ منذ سنوات طويلة عملت في منزل يتكلم الإنكليزية.

ثم نظرت نظرة أخرى إلى أناليزا ووضعت قطعة الحلوى في الميزان.

ـ أنصحك بهذه حين تتعبك الحياة، قضمة واحدة.

ولزم أناليزا ثانيتين لتقرر أن بضع لحظات من التنعم لن تضرها. ومدت يدها إلى حقيبة يدها: «أنا أناليزا ويلسون.. انتقلت لأسكن في فينكا فويغو مونتويا..».

- وأنا ماريا تيريزا غونزاليز.

ووضعت قطعة الحلوى في علبة زهرية اللون، وأكملت بإصرار: «إذا احتجت شيئاً آخر سنيوريتا..».

كانت ماريا تيريزا الرد على صلوات أناليزا كلها، وأحست بالثقة وهي تضع اللمسات الأخيرة على تبرّجها ذلك المساء. تستطيع الآن أن تقابل رامون ورأسها مرفوع عالياً. فنصف ساعة مع ماريا كسنة في القرية.

كما أنّ ماريا تعمل في المخبز مع عدد من الأقارب، ويمكنها أن تساعدها في الفينكا. وإذا لم يكن هذا كافياً، فهي تعرف كل عامل عمل سابقاً في فينكا فويغو مونتويا.

الآن هي مستعدة لأي شيء.. حتى لرامون بيريز!

* * *

رأت أنّ لا ضير من تناول العشاء معه... لكن العشاء في بخت رامون لذة مضاعفة.. رومنسي، مثير، ومغري.. حتى أنه لم يخفِ نواياه البعيدة. فرامون سيحصل على فينكا فويغو مونتايا.. وعلى مالكتها.

أجفلت أناليزا وقد تملكها إحساس بالذنب مع عودة رامون إلى الغرفة الرئيسية. وأغمضت عينيها بشدة آملة أن يتركها وشأنها.

- انهضي.

كان صوته حاداً. وهل فيه بعض الازدراء أيضاً؟

حذّرها بعد أن أدارت وجهها عنه: «أنظري إلي أناليزا..».

وتقدّم إليها وأدار وجهها نحوه.

صاحت أناليزا صيحة ذعر ومدت يداً لتبعد يده ثم رفعت رأسها.

كان رامون يرتدي بذلة رمادية اللوّن، وقميصاً أبيضاً وربطة عنق

حريرية زرقاء.. بذلة عمل. وتذكرت بضبابية مكالمة أجراها مع دون ألفونسو في الأمسية السابقة ليرتّب لقاء في مكتبه.

حاولت يائسة أن تتصرف بشكل طبيعي، وسألت: «كم الساعة الآن؟».

قال حين رأى أنها تقوم أخيراً ببعض الجهد لتصحو: «هكذا أفضل».

كان في تعبير وجهه بعض التسلية، ووجدت أناليزا نفسها تعود بالذاكرة إلى الوراء.. أو بالأحرى تتعثر عبر انطباعات متشابكة بالكاد تتذكرها..

قال ببرود: «قد ترغبين في إبعاد تركيزك عني.. وتدخلي لتنعشي نفسك، فالاجتماع مع فريقينا القانونيين في الساعة الحادية عشرة والساعة الآن..».

ونظر إلى ساعة معصمه: «.. تجاوزت العاشرة بقليل».

وتمكّن صوته الآمر من إيصال كلامه، فلم تجد فيه شيئاً شخصياً.. رفعت ركبتيها حتى ذقنها وهو يتابع: «بما أن لا وقت لديك للعودة إلى الفينكا، سمحت لنفسي بأن أطلب لك بذلة مناسبة، وأرجو أن تعجبك».

ولفت انتباهها إلى بذلة من صنع «آرماني» معلقة في خزانة فارغة.

في أي ظروف أخرى شبه طبيعية، كانت لتبتهج.. لكن هذا هو الإذلال النهائي الآن! لعله يشير بقسوة إلى أنها مناسبة أكثر لارتداء الثياب المغرية بدلاً من ثياب العمل. فالفستان الأسود القصير بدا فكرة جيدة في الأمس، بسيط وأنيق.. وقد انتعلت حذاء جلدياً مرتفع الكعبين، وحرصت على إخفاء صدرها الممتلىء خلف شال من الكشمير الرمادي اللون.

وحين رفع المركب الأبيض مرساته نفخت الريح في الشال إلى أن أخذه رامون منها وأعطاه لأحد أفراد الطاقم.

كان العشاء محضراً على سطح المركب لشخصين فقط. وقام على

www.elromancia.com

خدمتهما خدم كالظل، يعرفون متى يتقدمون ومتى يختفون. ومع خوض السفينة في البحر الهادىء كصفحة المرآة، بدأت ترتشف أول كأس عصير بارد.

قاطع أفكارها رامون وهو يقول بخشونة: «أعتقد أنّ من الأفضل أن تأخذي حماماً بارداً».

انتقلت عيناها الناعستان ببطء إلى وجهه: «ماذا؟».

كرر بصبر وكأنه يتملق طفلاً: «حمام بارد».

لو أرادت أي دليل يطمئنها على نواياه، لوجدته على وجهه الذي لا يعكس أيّ أثر للإغواء. ليلة أمس وجدت أنّ من السهل أن تتكيّف مع نمط حياة رامون المترفة. لكن الوضع اختلف في الصباح! لعله سيلين قليلاً مع موعد الفطور.. لكن نبرة صوته وهو يقطع الغرفة الرئيسية ليفتح الستائر قضى على هذا الأمل.

قال: «سأطلب منهم إيصال صينية فاكهة و كرواسان إليك».

وجدت صعوبة في أن تصدق أن العشاء تركها في مثل هذه الحالة وكأنها منوّمة مغناطيسياً.. وإلا فكيف انتهى بها الأمر إلى إسناد رأسها إلى كتفه؟ وقطّبت أناليزا وهي تحاول أن تتذكر متى خلع رامون سترة العشاء، ورفع كميه، ليكشف عن ذراعين أسمرين قويين يظللهما شعر أسود؟ الأمر كله ضبابي..

قال بصوت مرتفع مقاطعاً أفكارها بنفاد صبر:

ـ سأحضر لك الحمام، ثم سأنتظرك على سطح المركب، وإذا كنت تهتمين للفينكا، فلديك نصف ساعة لتستعدي.

هزّت رأسها وهي تحاول أن تتذكر تفصيلاً واحداً واضحاً من الليلة السابقة. وتذكرت بشكل غامض أنها مالت إلى الأمام لتأخذ إبريق العصير.. وبطريقة ما تلامست أصابعهما، ثم أخذ الكأس من يدها، وأرجعها لتستند إلى ظهر الأريكة.

ـ أناليزا.. كيف تتوقعين عقد صفقة عمل معي وأنت لا تزالين نائمة؟ ظننت أنني طلبت منك أن تنهضي.

ـ أنا آسفة.. كنت أفكر بليلة أمس..

وكان تعبيره كصفعة على وجهها: «ما من وقت لهذا الآن».

جلست لتواجهه وسألته بعناد: «ألم تستمتع بالأمسية؟».

رد بنفاد صبر: «كانت الوجبة جيدة».

ـ وما تبقى؟

ـ كان العصير لذيذاً.. وعدا هذا ليس لدي فكرة عمّا تتكلمين.

أدارت له ظهرها بغضب، فبقي صامتاً للحظات ثم ضحك ضحكة قصيرة: «دعيني أؤكد لك يا أناليزا: لو حصل أي شيء آخر ليلة أمس عدا وجبة الطعام فما كنت لتنسيه».

ارتفعت نظرتها إلى وجهه، ثم أبعدتها ثانية: «إذن.. أنت لم...؟».

قال ببرود: «أنت لست معتادة على الإبحار. وهل اعتقدت أنني سأستغل دوارك؟».

راحت تتفحّص التطريز على الحرير الأرجواني، ولم ترد.

فقال دونما اكتراث: «هذا مركب كبير. ودعيني أؤكد لك أنني نمت لوحدي. والآن، ادخلي الحمام قبل أن أحملك بنفسي».

* * *

خلال الاجتماع في مكتب دون ألفونسو الوقور بدا واضحاً أن فريق رامون القانوني ينقّب عن الثغرات في كل اقتراح يقدمه الرجل المسن. فاضطرت لأن تهبّ مراراً للدفاع عن حقوقها.

لقد كتب لها دون ألفونسو يقول إنه أحد محاميّ والدها المقربين، ولم يكن لديها أي سبب لتشك فيه. على أي حال، كان الموقف فيما يتعلق بالمرور وحقوق المياه أكثر تعقيداً مما تصورت.. وربما أبعد من قدرات دون ألفونسو. لكن كان من الخطأ أن تعترف أنها لم تدرس التفاصيل قبل الانتقال

إلى حياتها الجديدة. وبعد مهزلة ليلة أمس، كانت مصممة على الحفاظ على ما تبقى من كرامتها سالماً.. وأجفلت حين أوقف رامون الاجتماع بإيماءة معبّرة.

نظر إليها مباشرة عبر الطاولة، وقال: «أفهم أن السنيوريتا ويلسون قد اطّلعت جيداً على أوجه الخلاف كلها؟».

الخلاف؟ ونظرت أناليزا متسائلة إليه ومن ثم إلى دون ألفونسو.. احتراماً لمشاعر أمها، لم تتحدث معها يوماً عن الاسباني الغامض الذي كان والدها، كما لم يتطوّع دون ألفونسو لاعطائها أيّ معلومات عدا ما سألت عنه.

حثّتها نظرة دون ألفونسو المحذّرة على أن تتركه يتكلم بالنيابة عنها، فقال: «ستنتفع السنيوريتا ويلسون دون شك من سماع تفسيرك للمشكلة التي تواجهانها معاً».

تساءلت أناليزا عما يمكن أن تكون هذه المشكلة المشتركة، ورأت رامون يحني رأسه موافقاً. كانت قد توقعت أن يمسك بخناق دون ألفونسو لأنه أشار إلى أنه يواجه مشكلة، مثله مثل أي بشري عادي. لكنها لم ترَ على وجهه أيّ لمحة نفاد صبر.. وكم بدا جذاباً! واغتنمت الفرصة لتنظر إليه وهو يقف ليتكلم.. يا لها من مأساة أن تجد نفسها تقف ضده! والأسوأ أن تعرف أنه مرتبط..

استهل رامون كلامه بصوت منخفض، آمر، هادىء: «كما تعرف السنيوريتا ويلسون.. والدانا كانا شريكين».

ووجه نظره إلى أناليزا: «حين مات والدي ورثت عنه حصته من العمل».

وصمت.. فبدت تلك اللحظة وكأنها دهر لأناليزا. حدقت بثبات إلى الطاولة المصقولة فيما كافحت لتستوعب التصريح الأخير الذي يقطع الأنفاس.. فكل ما عرفته عن والدها الاسباني هو أنه هجر أمها بعد

ولادتها، ولم يسمعا عنه أي شيء بعدها. وأذهلها أن تكتشف أنه كان من أصحاب الأملاك وشريكاً لإحدى أغنى العائلات في اسبانيا. لكن، لمَ لم يذكر لها دون ألفونسو هذا الأمر، وهو يعرف من دون شك؟ وأحست أن رامون ينظر إليها، فرفعت نظرها إلى الأعلى من دون أن ترى.

وتابع: «في عيد ميلادها الخامس والعشرين، اكتشفت سنيوريتا ويلسون أنها ورثت قطعة أرض كبيرة هنا في مايوركا. أرض تركها لها والدها الراحل، دون بيدرو دي فويغو مونتويا».

واكتسحت أناليزا موجة مشاعر حين ذكر رامون اسم والدها. كان صوته يعكس الحب والاحترام. وبدا واضحاً أنّ ثمة رابط بين الاثنين، رابط أثارها وأرعبها. فقد جعل من رامون پيريز جزءاً من حياتها شاءت ذلك أم أبت. وأحنى الموجودون رؤوسهم، وكأنهم يتذكرون والدها بشكل مختلف تماماً عن فكرتها عنه. فرفض أمها الكلام عنه جعلها تفترض أن والدها الاسباني تسبب لها بأذى فظيع. أوَليس إهماله لهما برهاناً كافياً؟

رفعت نظرها مرة أخرى لتسمع رامون يقول: «هذه الأرض كانت له وأعطاها بكامل حريته، ولا خلاف على حق السنيوريتا ويلسون الشرعي».

أشار دون ألفونسو سراً إلى أناليزا ليسكتها، ثم سأله: «أنت ترغب في شراء هذه الأرض لمشاريع التنمية في المنطقة؟».

وافق رامون: «هذا صحيح. تصورت أنّ المالك الجديد للفينكا سيكون متشوقاً للبيع. كان هذا قبل أن ألتقي السنيوريتا ويلسون.. أعلم أن للسنيوريتا ويلسون خططها الخاصة. على أي حال، كي تعود بساتين البرتقال إلى كامل إنتاجها، سيلزمها الماء العذب، وهذه المياه تجري عبر أرضي».

صمت وبدت تعابير وجهه غير مقروءة. لكن أناليزا سمعت ما يكفي، فهبت واقفة.

- نواياي ما زالت في مرحلة التخطيط.. لكني أستطيع أن أقول لك إني

أنوي اتخاذ مايوركا موطناً لي.. وفينكا فويغو مونتويا ليست للبيع.

سأل أحد محامي رامون بارتياب: «حتى لو نسيت مشكلة الماء العذب، سمعت أن المنزل في حالة سيئة جداً».

أحست أناليزا أنها استنزفت عاطفياً، فقرارها عدم بيع الفينكا تركها مقطوعة على جزيرة لا سند لها.. والأسوأ أنها تواجه رجلاً يبدو قادراً على رؤية ما هو أبعد من واجهتها المتماسكة. وارتفعت نظراتها إليه وهو يقول: «أنتم لم تروا الفينكا مؤخراً».

رأت أناليزا أن عينيه دافئتان إلى أبعد من حدود الأمان. وحين تكلم، كان صوته مهدّئاً، ولو أنه وجه تعليقه للجميع.

ـ لقد قامت سنيوريتا ويلسون بتحسينات عديدة..

أحست بحرارة تنذر بالشرّ خلف عينيه، فتماسكت بسرعة. رامون خصم خطر، وأن يقلق على مشاعرها أمر مريب حقاً.

وتابع رامون: «أكد لي دون ألفونسو أن لديها ما يكفي من المال».

إذن، إما أن يكون الدون ألفونسو يعرف شيئاً لا تعرفه، وإما موّه الحقيقة. فبعد أن تبيع منزلها المتواضع في انكلترا، قد تصبح قادرة على إصلاح السقف، وربما تحسين حال الطريق المؤدية إلى الأملاك.. لكن، هل ستتمكن من شراء أرض من رامون لتأمين الري لفاكهتها؟

التقطت قلمها وأخذت تضرب على الأوراق أمامها كأنما تحاول أن تسجل فكرة، وقالت بعناد: «سأعيد بساتين البرتقال إلى إنتاجها الكامل».

وأحست بحنجرتها تجف وهي تتلفظ بخططها.. خطط تعرف تماماً أنها طموحة إلى حدّ التهور. لقد جاءت إلى الجزيرة وهي لا تعرف شيئاً عن الزراعة، ولا سيّما البرتقال. لكن، يمكنها أن تتعلم.. وسوف تتعلم. وتابعت، وهي تعي أن الجميع يتابع كلامها: «أنوي أن أعيش وأعمل في الفينكا. وأعني أنني سأوظف العديد من أهل القرية».

وحدّقت إليها وجوه متنقدة، لكنّ رامون تململ في مقعده وتمتم:

«أحسنت!».

ثم تنحنح لكسر حالة الذهول، وقال أحد أفراد فريقه يذكره: «لكن ماذا عن الشاطىء الذي تحتاجه لإكمال مكان رسو اليخت سنيور پيريز؟ لن تحتاج السنيوريتا ويلسون لشاطىء في خططها لإعادة إصلاح بساتين البرتقال؟».

وأجفلت أناليزا. إذن، هذا هو هدف رامون! من الأفضل أن تأخذ بنصيحة الدون ألفونسو.. إنه صادق على الأقل!

وقالت ببرود: «الحدود الساحلية ليست موضع تفاوض».

جادلها رامون: «كل شيء قابل للتفاوض».

قال الدون ألفونسو وهو يهز كتفيه: «أمام موكلتي الكثير لتستوعبه. وأرغب في مهلة شهر لمراجعة الأمور مع السنيوريتا ويلسون».

واستدارت الوجوه نحو رامون، وهز رأسه باختصار: «يبدو لي هذا منصفاً دون ألفونسو. لكن، قد يحدث الكثير خلال هذه المهلة. لذا، سأطلب توضيحاً أسبوعياً».

قال أحد محاميه وهو يسجل: «سنهتم بهذا الأمر».

قال رامون بهدوء وهو يضع يديه بحزم على سطح الطاولة: «لا.. سأتولى هذا الأمر بنفسي».

أسكتت أناليزا شهقتها، ونظرت حولها لترى أنها لم تكن وحدها المدهوشة.

تابع وكأنه يشرح بما يكفي: «هذه قضية حساسة.. وأنا مهتم جداً بالوصول إلى تسوية ترضي السنيوريتا ويلسون وترضيني. على أي حال، يبدو أننا سنصبح جارين مهما كانت النتيجة».

أجفلت أناليزا حين شعرت بقوة وتصميم الخصم. كان الأمر أشبه بشبكة من حرير حاكتها يد ماهرة فبالكاد أحست بها تنزل عليها.. وبعد فوات الأوان. وأشاحت بوجهها عن نظرته وهي تشعر بقلبها يخفق بشدة مع

www.elromancia.com

إطراق الدون ألفونسو رأسه برشاقة: «يشرفنا مشاركتك الشخصية سنيور بيريز. وإذا كان الأمر يلائم السنيورينا ويلائمك، فسأحدد أول لقاء لنا في الوقت ذاته من الأسبوع القادم».

وجاء دور أناليزا لتكون محط الاهتمام. ومرة أخرى، أحست أنّ رامون يراقبها بذلك الصمت الذي عرفت أنه ميزته الخاصة. قالت موافقة بصوت لا ينم عن شيء: «أنا موافقة».

وماذا تستطيع أن تقول؟ فهي متورطة حتى النهاية، ويجب أن تواجه تصميم رامون على الحصول على أرضها.. ربما تجد طريقة لتقايض قسماً من الحدود الساحلية مقابل الماء..

ومع انتهاء الاجتماع خفت حدة التوتر، ووجه رامون سؤالاً مباشراً إليها: «الغداء؟».

وكان هذا آخر ما توقعته أناليزا.. وأحست أنها تحتاج إلى وقت لتستجمع أفكارها وتستعيد رباطة جأشها، وقالت بسرعة: «أوه.. لا.. أنا لست جائعة».

مازحها بلطف: «ولا عطشى؟».

ـ لا، شكراً سنيور بيريز.

ـ أتعنين أنني لا أستطيع إغراءك بكوب عصير؟

قال دون ألفونسو وهو يرافقهما إلى الباب: «آه.. تجعلاني أتمنى لو أنضم إليكما».

قال رامون وهو يرافقها عبر الشارع: «من حسن حظك أنه لم يرَ ذلك التعبير على وجهك».

لمسة يده على ذراعها كهربتها لكن الصدمة جعلت صوتها جليدياً: «لا أريد تناول الطعام في اليخت مرة أخرى».

ـ يبدو لي هذا تحدياً.

ـ أنا جادة.

لكن أناليزا عرفت أن كلماتها تفتقر إلى الإقناع.

وزاد ضغط أصابعه على ذراعها فاكتسح الدفء جسمها بطريقة مغرية ومنذرة.. وتمتم: «في الوقت الحاضر، سنتوقف لنأكل شيئاً ونحن في الطريق إلى الفينكا».

ـ هذه فعلاً فكرة سيئة!

ـ ولماذا لا؟ سأوصلك إلى البيت.

قالت وهي ترجو أن يبقى صوتها صارماً: «أستطيع أن آخذ سيارة أجرة».

ـ ولماذا تفعلين هذا وأنت لست مضطرة؟

توقفت ورفعت نظرها إليه.. هل هذه عضلة ترتجف في فكه، أم أنها ترى التسلية والثقة في عينيه؟ وهل يهم حقاً؟ أمر واحد كانت واثقة منه، وهو أن لا شيء اسمه صداقة لا ضرر منها مع رجل مثل رامون بيريز.

بحثت عن عذر أفضل وقالت: «سآخذ سيارة أجرة لأنك لم تكن صادقاً معي».

لكن حين حاولت تحرير ذراعها اشتدت قبضته، وسأل: «عمّ تتكلمين الآن؟».

وأمسك ذراعها الأخرى ليديرها. عطره الرجولي المختلط برائحة الصندل والمسك فاق قدرتها على التحمل، فقالت، وهي تُبعد رأسها عن الرائحة المثيرة: «قطعة الشاطىء التي تلزمك لمرفئك».

ورد بخفة: «والماء العذب لبساتين البرتقال».

شهقت أناليزا وهو يمسك بذقنها ويديرها لتواجهه مجدداً، وهمست: «لم تطلعني على خططك لبناء مرفأ».

رد رامون عليها: «ولم يقل لك دون ألفونسو إن والدك وأنا شريكان.. هل فعل أناليزا؟».

وتركها فجأة.

www.elromancia.com

كانت على حق في الاستماع إلى ذلك الإنذار الغريزي. . رامون رجل تحتاج أي امرأة إلى مخدر لتتمكن من مقاومته. . وصمتت قليلاً لتهدىء أعصابها: «لست متأكدة. . أنا. . ».

قاطعها بنفاد صبر: «ولم تكن هذه المعلومات الوحيدة التي لم يطلعك عليها، أليس كذلك أناليزا؟».

أقرت في سرّها بعدم كفاءة محاميها، لكن الولاء لشخص عمل ذات مرة لحساب والدها انتصر. لن تتخلص من دون ألفونسو وستضطر إلى دراسة القانون الاسباني في وقت فراغها. . وقت فراغها؟ هذه مزحة!

قالت: «لم تتح الفرصة لدون ألفونسو ليخبرني التفاصيل كلها».

لاحظت نظرة الشك في عينيه. وضغط عليها بمكر: «أنت لا تعرفين الكثير عن والدك، أليس كذلك أناليزا؟».

دعكت معصمها دلالة على أنها لا تريد أن تعرف في هذه المرحلة المتأخرة: «لا. فأنا. . ».

ـ إذا كنت تنوين العيش في منزله. . وإعادة تشغيل عماله. . وأن تجعلي موطنك القرية حيث ولد. .

ـ بالتأكيد، ما سأفعله أمر عائد لي!

وافق رامون: «حسن جداً. ربما الوقت مبكر لبحث الماضي، لكن ثمة الكثير للحديث عنه، ولن يضرك أن تتناولي الغداء معي. . فقد مررت بتجربة العشاء. . ».

ذكّرته بسرعة: «بالكاد مررت بها».

وظهر طيف ابتسامة في عينيها، لكن رامون لم يلاحظ ذلك، بل أمسك بذراعها ليقودها عبر الشارع وسمعته يتمتم وهما يشقان طريقهما بين بعض السواح: «يسرّني تسوية الأمر».

ثقته بنفسه دفعت أناليزا للرفض بحدة: «لا!».

ـ ما الأمر الآن؟

وتساءلت: أيمكن لصوت أن يغريها؟ وقالت: «أنا لست واثقة من أننا يجب. . . ».

ـ يجب ماذا؟

نظرته المركّزة كانت كالحرارة تذيبها، وبدا أنها تنفذ إلى كل جزء فيها.

ـ يجب ألا نكون معاً بينما مارغريتا. .

أحست بجفاف حلقها وحاولت ابتلاع ريقها والسكوت، لكن رامون قاطعها بنفاد صبر: «هذا اجتماع عمل. وأنا بحاجة لأن آكل، وأنت كذلك».

ونظر إليها كأنما يتحداها أن تجادل.

إنها سخيفة. . فهذا عمل. . وإذا أرادت تجنب الظهور بمظهر البلهاء للمرة الثانية خلال أربع وعشرين ساعة، فيجب أن تتوقف عن التهرب مذعورة. قال: «سيكون الغداء سريعاً. . موافقة؟».

اعتبر صمتها موافقة ففتح باب سيارته البورش السوداء ووقف جانباً وهو ينتظر أن تصعد.

زمّت أناليزا شفتيها، وأجبرت قدميها على التحرك. . في الوقت الحاضر، الهرب ليس الخيار المناسب، لكنه الخيار الوحيد. صفق رامون الباب، وفات الأوان. راقبته وهو يسير نحو مقعد السائق. بدت ثقته بنفسه لا تقاوم.

ـ ذلك الاجتماع فتح شهيتي.

وافقت أناليزا بصمت: وأنا كذلك. واعترفت بهالة السلطة النابعة من الرجل الجالس إلى جانبها، داخل السيارة الفخمة والصغيرة.

أحست بموجات من المشاعر توقظ أحاسيسها. . موجات انتزعت منها نفساً أكثر حدة من العادة، وعرفت أن رامون سمعها، فقد نظر إليها وكأنه عرف تماماً بما تفكر. . وتشعر.

وصممت أن تحصر تفكيرها في المسائل العملية فبدأت تطرح الأسئلة

www.elromancia.com

عن المرفأ ما إن جلسا إلى طاولة في المطعم الجميل أمام الميناء الرئيسي.

لم يرد مباشرة، بل أخذ لائحة الطعام الجلدية من النادل، ثم قال: «من مسؤولية مستشارك القانوني أن يزوّدك بهذه المعلومات».

ودل تعبيره على أنه لا ينوي أبداً مناقشة أمور العمل على الغداء.

قطبت أناليزا، مصممة أيضاً على مناقشة الأمر: «حسن جداً.. لن أتنازل عن الشاطىء.. لك، أو لأي شخص آخر».

قال بحزم: «وأنا لن أناقش الأمر إلى أن نتناول الطعام، فهل أطلب لكلينا؟».

ـ أنا قادرة تماماً..

ـ هذا ما أذكره.

وهكذا واجهت أناليزا جبلاً من الطعام في طبقها بينما أخذ رامون يتناول الطعام اللذيذ المظهر، في عدد من الأطباق الصغيرة.. عندما رأى نظرتها تمتم: «أترغبين في شيء منها؟».

وقبل أن ترفض، انتقى أكبر قطعة تريدس وأطعمها إياها.

حين نزل بعض المرق على ذقنها، مسحه بيده ثم لحس أصابعه قبل أن يتناول منديله، وسأل بنعومة: «لذيذ؟».

وأثار سؤاله البسيط عدداً لا يحصى من الاحتمالات.

وافقت أناليزا بصوت أجش: «لذيذ جداً. في المرة القادمة أطلب لي مثله».

تحداها بنعومة: «المرة القادمة؟».

حسناً.. ما زال أمامهما الكثير لمناقشته.. لكن، من تحاول أن تخدع؟ فثمة حرارة مثيرة تحرم عقلها من التركيز.. يجب أن تبتعد عنه.. تبتعد عن الإغواء. لكنه لم يبدُ مستعجلاً، إذ طلب القهوة لكليهما، وراح يتحدّث إلى النادل.

حين استدار رامون إليها، كانت عيناه قد استحالتا بركتين داكنتين..

وأدركت أناليزا أنه يعي تماماً تأثيره عليها، إذ قرأه على وجهها وفي رد فعلها. لقد أصبح سجّانها بعد أن أسرها.

واختلست نظرة إلى وجهه الوسيم الحزين، وتململت في محاولة يائسة لتريح نفسها. لكن هذا كله أثبت أن لا سبيل إلى الشفاء أو الراحة.. وهذا أمر أدركت أن رامون يعرفه جيداً، حين رأت نظرته المفكرة تستقر على وجهها.

وكسر سحر اللحظة، قائلاً: «أعتقد أن من الأفضل أن نذهب. ثمة ما أحب أن تشاهديه».

أجفلت أناليزا وأحست بالذنب كأنما ضبطت وهي تقوم بعمل شنيع. لكنها لم ترَ على وجهه سوى العزم.. وهذا العزم يتناقض تماماً مع تخيّلاتها.

ـ هذا إذا استطعت منحي ساعة أخرى قبل أن أعيدك إلى منزلك.

ـ أستطيع توفير هذا الوقت.

ونظر إليها باهتمام: «جيد.. ساكون الذي..».

وصمت فيما وقف جانباً ليجعلها تمر أمامه دون أن يشرح أكثر.

قاد رامون السيارة بخبرة في الشوارع الجانبية إلى أن وصلا إلى الطريق الرئيسية، واتجها إلى شمال الجزيرة حيث أصبحت الطريق أكثر وعورة، والاخضرار أكثر انتشاراً.

كانت أناليزا على وشك أن تسأله عن وجهتهما، لكن شيئاً ما في فكه العنيد لم يشجعها على الحديث..

***

www.elromancia.com

٣ ـ ذكريات ميتة

عندما أوقف رامون سيارته كانت السماء قد تحولت إلى لوحة باللونين الأحمر والأخضر الزمردي. . وفي العتمة الزاحفة بدت الأشجار على جانبي الطريق وكأنها أصابع بلون الدخان.

نزل من السيارة قائلاً: «هذا أبعد ما تستطيع السيارة الوصول إليه».

وحين فتح الباب لأناليزا، رأت أنهما توقفا قرب ممر رملي يصل إلى غابة معتمة.

ـ هل نحن قريبان من البحر؟

ردّ وهو يخلع حذاءه: «هذا الممر يقود إلى الشاطىء».

كانت أناليزا لا تزال تنتعل الحذاء العالي الكعبين، فقلّدت رامون وخلعته: «حسناً. . إلى أين تأخذني؟».

ـ سترين.

واستدار كأنما ليمسك يدها، فدست يديها في جيبيها.

ومن دون انزعاج، واصل رامون سيره أمامها قائلاً: «هذه في الواقع زيارة غير عادية، لكن أشعر أنك لست مستعدة بعد للقيام بزيارة رسمية».

أسرعت الخطى لتلحق به وسألته: «زيارة؟ زيارة لمن؟».

ـ سترين.

وأخيراً أفضى الممر إلى شاطىء صغير على شكل هلال حيث تكونت

حدود طبيعية من الصخور الناعمة، التي تشبه حبات عقد عملاق. .

قال: «هناك».

وأشار نحو التلال إلى مكان بعيد عن الخط الساحلي.

رأت أناليزا منزلاً ضخماً بدا أشبه بمنازل هوليود.

فتمتمت: «لا بد أن هذا ملك لشخص غريب الأطوار».

علّق رامون وهو يبدو مسروراً: «أنت دقيقة الملاحظة».

قالت: «لم أقصد أن تسمعني، لمن المكان؟».

ـ كان ملكاً لوالدك الراحل.

ـ والدي؟

لم تدرِ لما أزعجتها الفكرة إلى هذا الحد. لكن الفكرة بدت لها خاطئة. . بل مستحيلة.

قال رامون: «هل ستسمحين لي أن أشرح لك؟».

استدارت لتراه يستند إلى جذع شجرة، يراقبها، والظلال تبرز الإغراء غير العادي على وجهه البرونزي. هل ستعرف كل شيء عن والدها من رامون؟ وأحست أنها عالقة بين شوق يائس لمعرفة المزيد، وبين خوف من أن تصبح متورطة عاطفياً مع رجل يمثل خطراً حقيقياً عليها. . رجل دوافعه غير واضحة.

ولفت انتباههما مشهد امرأة في متوسط العمر تخرج إلى الشرفة. كانت ترتدي فستاناً أحمر، وتتحرك برشاقة كبيرة، أما شعرها الأشقر الفضي، فمرتب لا شائبة فيه.

تمتمت أناليزا: «من هذه؟».

تقدم رامون ليقف قربها: «هذه هي سنيورا فويغو مونتويا. . أرملة والدك».

وجمدت أناليزا، كل ما عرفته عن والدها الراحل منذ وصولها إلى الجزيرة قلل من ازدرائها له. لكن فاجأتها الآن أحاسيس قوية، أحاسيس

www.elromancia.com

ملتهبة كانت هاجعة في نوم عميق حتى هذه اللحظة.. وزاد تركيزها حدة وهي تنظر إلى زوجة أبيها، وتحاول ألا تكرهها. لم يكن بإمكانها أن ترى بوضوح، لكن أناليزا خمّنت أنها امرأة تواكب الموضة.

مد رامون يده ليلمس ذراعها داعماً: «هل أنت بخير؟ أكنت تعرفين أن والدك متزوج؟».

قاومت أناليزا لتسيطر على مشاعرها، وضغطت يدها على فمها.. لم تكن الكلمات كافية لوصف مشاعرها، ومرت لحظات قبل أن تتمكن من الرد عليه: «أجل.. أجل بالطبع».

اشتدت قبضته على ذراعها قليلاً: «أعتقد أنك رأيت ما يكفي».

لفت ذراعيها حول خصرها في حركة دفاعية: «لا.. أنا بخير.. صدقاً».

قال مرة أخرى، حين لم تتحرك: «تعالي.. تعالي أناليزا».

وتركزت نظرتها على المرأة التي أبعدت والدها عنها: «قلت إنك ستشرح».

وعدها بحدة: «في السيارة».

قراره قضى على آخر اعترافاتها، ولم تقاوم حين قادها بعيداً. لكن، بعد أن استقرا في البورش، شدّ رامون على المقود، وقطّب جبينه.

سألته أناليزا: «ما الأمر؟».

النظرة التي رمقها بها كانت نظرة قلق وعدم تصديق، وقال: «خلال الاجتماع، شككت في أنك لا تعرفين سوى القليل عن إرثك الاسباني.. والآن أتساءل عما إذا كنت تعرفين أيّ شيء».

أحست أناليزا أن مشاعرها كالماء خلف سدّ مشقق. أرادت أن تثق به، وتشوّقت لمعرفة ما خفي عنها من قطع الأحجية. لكن موضوع والدها كان من المحرمات طوال حياتها، فكيف ستتمكن من الكلام الآن؟ سيكون من الجنون المطبق أن تكشف أسرارها أمام رامون. فهي لا تعرف شيئاً عنه، عدا

أنه يريد أرضها.. وربما أكثر بقليل، فهو رجل متزوج، مثلما كان والدها. وبالتأكيد، لن ترتكب الغلطة ذاتها، كأمها!

قال: «أنا على حق.. أليس كذلك؟».

قالت بحذر: «أنت بالتأكيد تعرف أكثر مما أعرف».

قال رامون بلطف: «أتمنى لو تتمكنين من سؤالي.. حدثيني في أي وقت كان».

كانت أناليزا واثقة من أن أي امرأة أخرى ستتمسك بهذه الفرصة، لكنه خطير جداً بالنسبة إليها.. الدون ألفونسو سيرد على أسئلتها.

ـ أنا شاكرة لك لأنك أريتني منزل أبي..

وصمتت بعد أن صدر عنه صوت يعبر عن الشك: «والدك لم يكن يسكن هنا، وأنا آسف لأنني أعطيتك هذا الانطباع. كان يعيش في الفينكا. وحين مرض.. انتقل إلى شقة صغيرة في «ماهون» فوق مكاتبنا. لقد بنى هذا المنزل لزوجته، كلوديا.. بناه حسبما تشتهي، وليس كما يريد».

قالت تعترف: «لا أفهم.. ولست واثقة من أنني أريد أن أفهم».

هزّ رامون رأسه وسألها: «ألا تريدين بث بعض الحياة في ذكرياتك أناليزا؟».

ووجدت صعوبة متزايدة في إبقاء مشاعرها مضبوطة.

ـ ليس لدي ذاكرة أبث فيها الحياة.. على الأقل، ليس عن والدي..

ـ هل ستدعيني أساعدك؟

استدارت أناليزا تحدق إلى الظلمة، فرامون بيريز هو آخر شخص على وجه الأرض يجب أن تثق به.

قال بصوت ناعم: «أتعرفين؟ أنت تشبهينه، الشعر الأسود الرائع ذاته، والقسمات القوية نفسها».

حذّرته بهمس متصلّب: «أرجوك.. كفى».

لكن رامون لم يشعر بالتوتر المتصاعد في داخلها. وبدلاً من أن يترك

www.elromancia.com

الموضوع، ضحك ضحكة قصيرة محبة، وقال: «كنت سأعرفك في أي مكان أناليزا.. حتى قبل أن أعرف كم أنت عنيدة..».

ـ كفى!

زاد الصمت المطبق من قوة صرختها المعذبة، وبدا أن الألم يدور حولهما حتى بعد تلاشي ترددات الصوت.

ـ خذني إلى منزلي.. أرجوك.

تحرك رامون وكأنه يود أن يلمسها.. أن يطمئنها.. لكنه تراجع مفكراً. وبحركة رشيقة أدار المحرك وانطلق بالسيارة القوية نحو الطريق.

* * *

بقي كل ما قاله رامون عالقاً في ذهنها، فهي تشبه والدها فعلاً. كانت أمها وردة إنكليزية مثالية، بشعرها الأشقر الكثيف الناعم، ولون بشرتها الشقراء وبعينيها الخضراوين. وحدها بشرة أناليزا تبيّن إرثها الانكليزي، أما ما تبقى فاسباني بالكامل. عيناها لامعتان بلون دبس السكر، وشعرها بلون الليل الحالك، وبالرغم من أنها طويلة وذات ساقين طويلتين نحيلتين، إلا أن شكل جسمها متوسطي بالكامل.

يجب أن ترى صورة لوالدها.. فلعل في هذا جدوى.. أو لعله يطفيء فضولها.. أو لعلها تأمل أن ترى في عينيه ما يشرح لها كيف استطاع أن يهجر أمها ويتركها لعمر كامل من الوحدة.

وفيما هي تفكر أين يمكن أن تجد مثل هذه الصورة، رن جرس الهاتف.. وجمدت يدها فوق السماعة. لا بد أنه الدون ألفونسو يؤكد لها موعد الاجتماع القادم.

ـ أناليزا؟

ـ رامون!

ـ هل أنت بخير؟

راحت دقات قلبها تتسارع لسماع صوته، ونبرة القلق فيه. وترددت، فدماغها يدور كحجر الرحى بسبب المشاعر المختلفة التي تتملكها.

ـ ولـمَ لا أكون بخير؟

ـ قلقت عليك.

لعل الفراغ حلّ في فكرها، لكن جسمها تجاوب فوراً.. وبلهفة.

ـ أتريدين أن أجيء إليك؟

وطال الصمت، فسألت أخيراً: «إلى هنا؟».

تأثير ضحكته القصيرة العميقة جعلها تدرك كم ترغب في ذلك.. وكم سيكون خطيراً.

حذّرها: «لا تبدي مثل هذه الصدمة، أردت فقط أن أتأكد من أنك على ما يرام بعد..».

قاطعته بسرعة: «لا داعي لهذا رامون. أنا بخير تماماً».

ـ حسن جداً.. إذا كنت متأكدة.

أخذت أناليزا بضعة أنفاس قصيرة وعميقة، وتصورته ينتظر رداً.. كان من السهل أن تضعف..

قالت بحزم: «أنا واثقة».

أحست أن سمعها لم يكن يوماً حساساً بهذا القدر وهي تنتظر جوابه. لكنها لم تسمع سوى الصمت من الجهة الأخرى للخط. وبعد قليل قال: «حسن جداً.. سنلتقي بعد أسبوع».

* * *

لكن رامون لم يحضر الاجتماع في الأسبوع التالي، أو في الأسبوع الذي تلا.. بالطبع يجب ألا تهتم لهذا، لكن في الاجتماع التالي رمت الحذر جانباً، ووقفت تخاطب من في الغرفة: «أخشى أني أصر على حضور السنيور بيريز الاجتماع التالي».

فردّ أحد أفراد فريق عمل رامون: «السنيور پيريز رجل مشغول جداً».

رنة صوت المحامي الشاب، لم تعجب أناليزا، فردت ببرود: «وأنا امرأة مشغولة جداً».

لكن قلبها أراد الرد، وراح يتصرف على هواه: «إذا لم يحضر السنيور پيريز لقاء الأسبوع القادم فسأفترض أنه لم يعد مهتماً بامتلاك أي قسم من الشاطىء».

قال المحامي ذاته وهو يرفع كتفيه بعدم اكتراث: «لكنه في انكلترا».

وأغمضت أناليزا عينيها لهنيهة.. إنه مع مارغريتا.

وسأل دون ألفونسو: «من أجل السباق؟».

أي سباق؟ أمر آخر لم يخبرها عنه؟

جمعت أوراقها، ودفعت كرسيها إلى الوراء ووقفت: «بصراحة أيها السادة.. لا يهمني ماذا يفعل.. سأرى السنيور پيريز في الأسبوع القادم أو أعتبر هذه المفاوضات منتهية».

أحست أناليزا بصحة موقفها وهي تسير إلى السيارة القديمة التي اشترتها. قادت بسرعة في الطريق الرئيسية غير المزدحمة، واستدارت أخيراً لتصل إلى طريقها الضيق المليء بالحفر. لقد باعت أخيراً منزلها في انكلترا، وستستخدم المال لتحسين الطريق. لكن هذا سيجعلها من دون مال تقريباً، وقد تصبح الأمور صعبة في مرحلة ما..

ـ ماذا يجري؟

داست أناليزا على المكابح وخرجت من مقعدها بسرعة: «توقف! أوقفوا هذا الآن!».

فوق سطح منزلها، رأت هناك عمالاً ينزعون ما تبقى من ألواح قرميدية. كان الحطام يملأ المكان. بعد وقوفها هناك للحظات، أحست أن شعرها الأسود اللماع مغطى بطبقة رمادية.

أخيراً ردّ أحد العمال على إشاراتها الغاضبة: «أمر السنيور پيريز..».

واستعر غضب أناليزا كالنار: «ليس للسنيور پيريز أي سلطة هنا! كيف يجرؤ..».

هز الرجل كتفيه وهو يبتسم: «أتريدين أن نترك العمل؟».

ـ أجل! لا!

نظرت حولها بيأس، فرأت أكواماً مرتبة من القرميد الجديد في زاوية بينما أكوام القرميد القديم المكسّرة تنتشر على الأرض.

سألت: «أين السنيور پيريز؟ لا..».

ورفعت يدها لتسكت الرجل وأكملت بشراسة: «في انكلترا.. يحضر السباق مع مارغريتا».

فنادى صوت آخر من فوق السقف المخرّب: «لا.. لا سنيوريتا. عاد سنيور پيريز اليوم».

اشتد ضغط أناليزا على فمها وصاحت: «حسن جداً! شكراً لك».

وركضت عائدة إلى السيارة.

قال رامون پيريز لخادمه: «لا بأس رودريغز يمكنك تركنا».

واستدار إلى مجموعة رجال يجلسون حول الطاولة، وقال: «أيها السادة، سنعيد عقد هذا الاجتماع بعد ساعة».

ارتفع حاجبا أناليزا.. بعد ساعة.. كان غائباً لأسابيع، ولم يحضر اجتماعاتهما، وتدخّل بوضع منزلها ويتوقع جدياً أن يتخلص منها بعد ساعة!

حين غادر الجميع الغرفة، قال: «أناليزا، ما هذه السعادة غير المتوقعة.. كيف يمكن أن أخدمك؟».

وأرجع كرسيه ووقف ليواجهها، وبدا تعبير وجهه الأشبه بوجه الصقر مختلفاً تماماً عن كلماته المهذبة.

بذلته الصارمة أبرزت جاذبيته الرجولية، فأثّرت في قرارها وزادت توترها. قالت محذرة: «لا تحاول أن تتسلط عليّ.. وقد قمت بالكثير».

www.elromancia.com

تمتم: «حقاً؟».

واستدار لينظر من النافذة قبل أن تلحظ لمعان التسلية في عينيه السوداوين.

ـ أنا لا أمزح رامون.

ـ أستطيع أن أرى هذا.

واستدار فجأة بحيث أجفلت. قالت محذرة وهي تتراجع خطوة إلى الوراء: «لا! أنا أطالب بتفسير».

والتوى فمه بابتسامة متكاسلة: «تطالبين؟».

ـ أجل. أنا..

رفع يديه في إشارة استسلام غير متوقعة وقال بلهجة معتدلة: «أقدم لك اعتذاري. كان يجب أن أعرف كم يغضبك هذا».

واتجه مباشرة نحوها.. فتراجعت خطوة ليصبح الباب وراءها: «ليس لدي فكرة عما تتكلم».

توقف أمامها وهز كتفيه: «الانتظار طبعاً، والمشاكل التي تقف في الطريق».

ومرر يداً ناعمة على خدّها.

ارتدت إلى الوراء: «في طريق ماذا بالضبط؟».

أوضح مبتعداً: «عقد اتفاق بيننا».

ابتلعت أناليزا ريقها بصعوبة وهي تراقب أصابعه النحيلة السمراء تتحرك لتعدل ربطة عنقه.. كان من السهل جداً الوقوع تحت سحره.. سهل جداً، فاستجمعت شجاعتها: «حقاً رامون.. يجب أن أصر..».

نظر إليها متسلياً، كأنما فقدت عقلها: «يجب أن تصري؟».

ثم عاد وتقدّم بما يكفي ليحجزها عند الباب، ومرر أنامله على خدّها المتورّد.

فقالت محتجة بأنفاس مقطوعة: «سقف منزلي..».

تمتم: «آه.. أجل.. سقف بيتك».

الحرارة على وجهها امتدت في جسمها وشهقت قائلة: «أنت تصلحه».

رمقها بنظرة حادة، ثم استدار على عقبيه: «قبل أن يقع».

ـ إنه ليس لك لتصلحه!

ـ سمّيه اهتمام جار بجاره، إذا كان هذا يجعلك تشعرين براحة أكبر.

ردت على الفور: «لا أستطيع رد المال لك، ليس الآن على أي حال».

ـ وهل طلبت رد المال؟

ردّت بحدة وهي تتمنى لو تهدأ أنفاسها قليلاً: «لكنك ستطلبه».

استدار ليواجهها مرة أخرى، ومرر يده على ذقنه: «ربما نستطيع العمل على مبدأ المقايضة».

ـ لن يدفعني أحد إلى التخلّي عن أرضي قبل أن أكون مستعدة..

ـ توقفي عن الاستنتاجات الخاطئة أناليزا. كيف عرفت أنني أتكلم عن أرضك؟

النظرة التي رمقها بها جعلت أحاسيسها المضطربة تتشوّش.

ـ عما يمكن أن تتكلّم غير ذلك؟.. وكيف يمكن لي أن أعرف عمّا تتكلم وأنت لا تزعج نفسك بحضور الاجتماعات التي اتفقنا عليها؟

وانتقلت نظرتها فجأة من عينيه لتستقر على شفتيه.

ـ هذا من سوء حظي، وأنا أعتذر.. مسألة عائلية تطلّبت اهتمامي الفوري.. فالعائلة تأتي دائماً قبل العمل، بالنسبة إليّ يا أناليزا. مارغريتا كانت تحتاج إليّ..

وأمسكت يد ببرودة الثلج عمودها الفقري، فارتجفت عينا أناليزا قليلاً.. وكانت الكلمة الوحيدة التي تحتاج إليها، لتتذكر أنّ له زوجة، وأكمل: «أعدك أن أحضر الاجتماع التالي».

وألهاهما معاً قرع خفيف على الباب، فنادى رامون بنفاد صبر: «أدخل».

www.elromancia.com

تقدم رودريغز بضع خطوات ونظر إلى أناليزا: «لديك زائر سنيور پيريز».

ثم تقدم من رامون وهمس في أذنه، فتصلب وجه رامون لهنيهة، واستدار إلى أناليزا، متنهداً: «أعذريني أناليزا.. سنتابع هذا الحديث في وقت لاحق».

ـ وماذا عن السقف..

قال مقترحاً: «دعي عمالي ينهون ما بدأوه. وسنتفق على أمر الدفع في المرة القادمة، وأؤكد لك أن شروطي ستكون منصفة».

ونظر إليها مقيماً بعينين كهرمانيتي اللون وأضاف: «يهمني أن تكوني آمنة وجافة، ولا أريد أن يؤنبني ضميري».

أبقت أناليزا وجهها خالياً من أيّ تعبير، لكن نبضات قلبها ظلت متسارعة بعد تذكيره المذّل لها بمارغريتا..

ردت بصلابة: «سنيور پيريز».

ورفعت ذقنها في الهواء، ثم خرجت من الغرفة.

وفيما هي تقطع الردهة، رأت أناليزا امرأة تلحق برودريغز إلى الغرفة التي تركتها لتوها. شيء ما في تلك المرأة، ذكرها بالسنيورا فويغو مونتويا، حتى أنّ الصوت الجميل كان بالضبط كما تصورته فاستدارت متهورة ومتأكدة من أنها على صواب. لكن، ماذا تفعل أرملة أبيها عند رامون؟ هل يدبران لأمر معاً؟ إذا كان الأمر كذلك، فقطعة من الشاطىء ليست الهدف وحدها... ولعلها الأملاك كلها!

نزلت السلم الأمامي مسرعة وهي تحلل الأدلة. رامون يسعى لأن تصبح مدينة له.. لم يحضر الاجتماعات، ولم يلتزم بالاتفاق.. ربما لأنه يعرف أنه قادر على الحصول على ما يريد من دون ثمن! فهو يعرف أنها منجذبة إليه، وهو رجل متزوج، لكنه لا يفعل شيئاً ليقوي عزيمتها. أما بالنسبة لزوجة أبيها، السنيورا فويغو مونتويا..؟

الكلمة في دماغها جعلتها تشعر بضعف مزدوج.. بالطبع ستشعر بالسخط على ابنة زوج لم تلتقِها أبداً. ابنة زوج ورثت مساحات كبيرة من الأرض وحرمتها منها... كل هذا كان له وقع منطقي رهيب. وابن شريك والدها يتحالف مع أرملته..

حتى منظر سقفها الجديد الأحمر، فشل في مواساتها حين دخلت فناء الفينكا. لكن كان عليها أن تعترف أن العمال قاموا بعمل ممتاز.

لا بد أنّ السباحة ستبرّد مشاعرها. وأسرعت إلى المنزل، وأخرجت ثوب السباحة من خزانتها، وارتدته بسرعة. لقد تلاعب بها رامون، وستدفع دينها لعائلة كريانزا پيريز لما تبقى من حياتها إذا استمرت الأمور على ما هي عليه.

عندما وصلت الشاطىء، كانت الشمس ككرة برتقالية ضخمة عند الأفق. وكان النسيم يداعب الأمواج بحيث راحت تضرب الصخور، وترمي الرذاذ في الهواء. رمت نفسها في المياه بنفاد صبر وبدأت تسبح، وكأن المياه الباردة يمكن حقاً أن تساعد في تهدئة مشاعرها الحارة.

استسلمت لسحر البحر وانطلقت إلى الخارج، بقوة وسرعة، غير واعية للسرعة التي تبتعد فيها عن الشاطىء.. لكن حين أخذ المحيط يمتد أكثر فأكثر ويبتلع الشمس، توقفت عن السباحة وبدأت تعود. لكن التيار لم يرحمها، فخاضت في المياه ودماغها يعمل بذعر.

كانت نقطة الأمان الوحيدة في بحر يزداد ظلمة، هي سطح مركب رامون الأبيض اللماع. وكان أملها الوحيد أن تسبح إليه.. أن تسبح لتنقذ حياتها.. لكنها بدأت تتعب بسرعة. ومع كل ضربة كانت الأمواج تزداد ارتفاعاً وقوة وسرعة.. إلى أن اختنقت بماء البحر وصارعت لتتنفس.

حين غاصت تحت الماء لم تكن أحداث حياتها وحدها هي التي مرت بسرعة أمام عينيها.. بل ذاك الوجه الفاتن الذي شغل أحلامها. وأحست

www.elromancia.com

بنفسها تغوص أكثر، فأخذت ترفس بضعف في محاولة منها للنفاذ من سقف الموت الذي كان يطبق عليها. لكن التيار الذي لا يرحم راح يشدّها، فلم تستطع ذراعاها الممدودتان سوى أن تتمسكا بشعاع القمر وهو مجرد خيط رفيع في ظلمة متزايدة.

وضعفت بسرعة، وبالكاد تنبّهت ليد من حديد التفت حول خصرها. لكن بعد أن أوصلها رامون إلى السطح وهي تشهق وتسعل، تصلبت مجفلة لسماعها دفقاً من الكلمات الاسبانية في أذنها.

صاحت بامتنان: «رامون!».

ـ ابقي هادئة أيتها الحمقاء الصغيرة! أتريدين قتلنا معاً؟

كان يضمها بشدة، فخافت من مشاعرها أكثر من فكرة الغرق. لا بد أنه غاضب، وقد أدركت هذا وهو يجرها إلى الشاطىء وكأنها قطعة خشب طافية.

رفعها من الماء، وحملها إلى الشاطىء، وحين تأكد من أنها على ما يرام، رماها على الرمال تحت قدميه، وقال بصوت خشن غاضب: «أيتها الحمقاء الصغيرة! ماذا تظنين نفسك فاعلة؟».

سعلت بعنف في محاولة لإخراج ما تبقى من رمال وماء في رئتيها.

كان صوته خالياً من الرحمة، وحين تمكنت من النظر إليه رأت أن كل عضلة وعصب فيه يفضح عمق مشاعره. وأخيراً شهقت: «أنا آسفة.. أنا غريبة عن..».

قاطعها بخشونة قبل أن تستطيع قول المزيد: «ماذا؟ عن الغرق؟».

وحين بدأت تثرثر باعتذار ركع إلى جانبها وأمسك كتفيها بقبضة لا تسامح يهزها ويدخل شيئاً من التعقل إليها: «لا تكرري فعلك.. أيمكن؟».

أجفلت لحرارة عينيه، وهزت رأسها موافقة. لكن رامون لم ينته منها بعد. وأمسك بذقنها، يجبرها على الاستدارة لتواجهه.

ـ لن تسبحي مجدداً في الظلام.. أفهمت؟

ـ حسناً.. حسناً.

كان قريباً منها، وقريباً جداً.. وتصلبت تستعد لدفعه عنها.. ثم استرخت فقد أنقذ حياتها لتوه..

قال بصوت صارم: «البحر لا يعرف سيداً أناليزا. آخر مرة ارتكبت فيها حماقة، حذرتك.. والآن أنا آمرك، لا تسبحي في البحر لوحدك مرة أخرى».

ووقف رامون وخلع قميصه. وبالرغم من أنها كانت مرهقة إلا أن أحاسيسها ازدادت حدة وهي ترى كتفيه العريضتين، وعضلات صدره الأسمر القاتم المشدودة. أشاحت بوجهها ثم لفت ذراعيها على صدرها، وشدت ساقيها بقوة تحتها. أغمضت عينيها، وكأنما سيساعدها هذا على إبعاد الصورة المطبوعة في دماغها.

قال ساخراً: «مغامرتك الصغيرة سلبتك القدرة على الكلام ولو مؤقتاً. وأعتقد أن من الأفضل أن تصعدي إلى المركب معي لتجففي نفسك وتتدفئي قبل أن تمرضي. قاربي يرسو خلف هذه الصخور مباشرة. يمكنك أخذ حمام ساخن.. وارتداء بعض الملابس الجافة».

لعله استعاد رباطة جأشه، لكن أمامها هي وقت طويل لهذا.

قال بإصرار: «تعالي.. الهواء قوي الليلة ولهذا السبب واجهتك صعوبات».

كادت أناليزا تبتسم، فلو أن متاعبها كلها مرتبطة بالطقس، لما شعرت بكل هذا القلق. وأخيراً تمكنت من القول بتعقل: «أفضل أن أعود إلى المنزل».

عارضها بحزم: «هذا ليس بخيار في حالتك الراهنة».

ـ لا.. حقاً.. أفضل الذهاب.

شدها لتقف وقال: «ستكونين آسفة.. أنت جارة مثيرة للمتاعب

www.elromancia.com

أناليزا ويلسون. هل تناولت الطعام الليلة؟».

اعترفت مترددة: «لا..».

- إذن سأهتم بهذا أيضاً.

كانت تعلم أن من الأفضل أن تستسلم بلباقة..

- لقد أنقذت حياتي.. فكيف لي أن..

قاطعها بخشونة: «يمكن أن تشكريني بعدم المخاطرة مرة أخرى».

اعترفت: «لم أسبح من قبل في وقت متأخر».

صاح رامون: «كان يمكن أن تقتلي! رباه!».

وأخافها بقسوته، فقالت: «أنا آسفة.. لست أفهم ما الذي..».

قاطعها بحرارة: «وأنا أيضاً لا أستطيع أن أفهم.. كيف يمكن لأناليزا ويلسون التي أسمع عنها في القرية أن تفعل شيئاً كهذا!».

سألت وهي تخشى سماع الرد: «وماذا سمعت عني؟».

- اكتفاء السنيوريتا ويلسون الذاتي، ذكاؤها، تعقّلها..

وصاح: «تعقلها؟ بحق الله!».

مرت بضع لحظات قبل أن تدرك أنه يمازحها، وأعجبها هذا الإحساس.

ومن دون إنذار مسبق أمسك بها: «أتتصرفين بهذه الطريقة المجنونة بسببي؟».

قالت محتجة: «لا تكن سخيفاً!».

ساد الصمت قليلاً ثم تركها: «أنت ترتجفين وهذا لا يدهشني بعد ما مررت به، من الأفضل أن نذهب».

* * *

بعد عودتها إلى فراشها، جلست أناليزا تحتضن ركبتيها، فيما استلقى الكلب فودج عند قدميها.

هذه ليست النهاية التي يتوقعها أي كان لإنقاذ رامون لها.. وأي شخص آخر كان لينجح أكثر منها في الحصول على رد على الأسئلة التي تضج في رأسها.

بعد ما حدث، كان رامون.. وقطبت وهي تفتش عن الكلمات المناسبة.. مراعياً جداً؟ أما هي فشعرت بحرج شديد...

شكّل رنين جرس الهاتف مقاطعة مرحب بها لأفكارها، لكنها أخذت نفساً سريعاً حين سمعت صوته.

- أنا أتصل لأتأكد من أنك بخير.

لعله مجرد سؤال عادي. لكنها سمعت فيه أكثر من القلق.. كان فيه الدفء.. والابتسام..

قالت بصراحة، محاولة السيطرة على مجرى الحديث: «أنا آسفة على ما جرى الليلة.. وشكراً لك على كل ما فعلته.. وعلى اتصالك».

- لمَ ما زلت مستيقظة؟ كان يجب أن تنامي.. أن تستريحي بعد ما حدث.

كان يحاول أن يبدو صارماً.. وجاء دور أناليزا لتبتسم، وقالت: «كنت نائمة إلى أن اتصلت..».

رد بنعومة: «كاذبة».

لم تختبر من قبل مدى حميمية الهاتف. لكن تحدّيه المألوف كان كطلقة نار عبر شرايينها.

قال بصوت يشابه الهمس: «لا تفعلي هذا بي مرة أخرى.. أبداً».

وسمعت صوتها يلين حين ردّت: «أنا حقاً آسفة على ملابسك..».

- اللعنة على الملابس.. أنت..

- شوكة في الخاصرة، أعرف.

صحح لها رامون بحزم: «لا.. كنت سأقول.. إنك فريدة من نوعك».

www.elromancia.com

أقنعت أناليزا نفسها بألا ترى أبعد من الكلمات، وقالت بوقار: «أعدك بألا أتصرف بشكل غبي مرة أخرى».

ضحك ضحكة ناعمة: «هل يعني هذا أنني على حق ولو لمرة واحدة؟».

- ربما.. في هذه المسألة.

حذرها بلطف: «هذه ليست مسألة مضحكة. كيف يمكن أن نعقد اجتماعاتنا إذا كان أحدنا مفقوداً؟».

قالت: «لقد تدبرت أمري جيداً وحدي في الاجتماعين الأخيرين».

وكتمت أنفاسها لترى ما هو رده، فسرت ضحكته فيها كالعسل الدافىء.

قال مقاطعاً أفكارها: «سبق واعتذرت عن غيابي».

- أعرف.

- ربما ليس بما يكفي.

- لا؟

- في الواقع يجب أن نتناول العشاء معاً مساء الغد لأعوض عن إهمالي.

- وماذا لو رفضت؟

- لن ترفضي.

وتسارعت الإثارة في جسمها.. هذا كثير على امرأة واحدة! وتذكرت مارغرينا، فحذرته: «طالما أعود في وقت باكر».

- أنا واثق من أنني قادر على إدراج هذا في خططي.

- إذن.. سأتطلع شوقاً لموعدنا.

قال رامون بصوت منخفض: «وأنا كذلك. تصبحين على خير أناليزا.. أحلام سعيدة».

همست: «تصبح على خير رامون».

ثم أدركت أنها لا تزال تحتضن السماعة بين يديها بعد وقت طويل من انتهاء المكالمة.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ أنريكو الأسطورة

استيقظت أناليزا مجفلة . . وتأوهت : «الطائر اللعين!» .

ونظرت إلى الساعة . لم تبلغ الخامسة بعد، لكن جنرال الدجاج المتباهي كان يستيقظ أبكر وأبكر كل صباح . .

رمت الوسادة جانباً، وتثاءبت ثم تمطت، وتنهدت وهي تفكر بالأمسية التي تنتظرها مع رامون . هذه المرة ستلتزم الحذر . . فلا دوار بحر ولا ثياب تثير المتاعب . . وبكل تأكيد، ما من سباحة في الليل!

بعد إطعام الحيوانات وتنظيف المنزل، قررت زيارة المركز التجاري الذي افتتح حديثاً في ماهون لشراء شيء ترتديه . . وأرادت أن تبدو متأنقة . . أن تُفقد السنيور پيريز توازنه . كانت مصممة على أن تذهل رامون حين يراها في المرة القادمة .

عندما خرجت أناليزا إلى فناء المنزل، كانت الشمس تعكس على ألواح القرميد وهجاً خفيفاً . مشت إلى نقطة تستطيع منها الاشراف على ممتلكاتها . كانت لا تزال غير قادرة على استيعاب حقيقة أن كل ما تراه أمام عينيها، هو ملك لها .

تمتمت وهي تنظر حولها : «إنها الجنة» .

وكان من الصعب عليها أن تصدق وجود مثل هذا الكمال .

قالت أناليزا للشابة في صالون التجميل : «أستطيع نسيان كل شيء

لبضع ساعات» .

وضحكت بسعادة . يجب أن تسترخي وتسيطر على نفسها الليلة . . حركت أصابع قدميها راضية بعدما أنهت إخصائية التجميل عملها .

قادت أناليزا سيارتها عائدة إلى منزلها، وهي تبتسم راضية . فقد خرجت من صالون التجميل لتشتري فستاناً جديداً . . فستان أبيض، بسيط وأنيق جداً . كان ثمنه باهظاً، لكن هذا لا يهم . . ليس اليوم . فاليوم مميز وعليها أن تدلل نفسها . .

بالكاد أوقفت السيارة حين خرجت منها مسرعة .

ـ هاي! ماذا تفعل؟

وبدا صوتها أجش في أذنيها، ونسيت تماماً أنها ترتدي ملابس أنيقة للخروج .

ركضت نحو البوابة الخشبية، ولم تنتظر لتفتحها وعلق فستانها وهي تقفز من فوقها . تعثرت على الأرض المكسوة بالأغصان، ووقعت أكثر من مرة وهي تتجنّب أكواماً من أغصان الشجر المقطوعة حديثاً . . الكثير من الأغصان! ومن دون أن تهتم بحذائها الجديد، أو فستانها الأبيض الأنيق الذي تلطخ، وتمزق في أماكن عدة، ركضت إلى حيث لمحت المتطفل الغريب .

غطت الخدوش والكدمات ذراعيها وساقيها . . لكنها لم تهتم . . جلّ ما أرادته هو وقف المجزرة . صرخت : «ماذا فعلت؟» .

كان للرجل الذي تواجهه وجه نكد وبنّي مثل أغصان الشجر التي كان متعلقاً بها .

ـ بوناس تاردوس سنيوريتا .

ولم يبد اهتماماً بذعرها، فتكور فم أناليزا بيأس وهي ترفع نظرها إليه . كان الفلاح النحيل يحمل أدوات قص حول خصره، وفي عينيه تعبير متسائل .

قال بانكليزية ركيكة: «أنت إذن ابنة دون بيدرو».

وضرب على صدره مضيفاً: «أنا أنريكو كارادونا».

ردّت أناليزا بحدة: «لا يهمني من أنت. أعتقد أن من الأفضل أن تشرح لي ماذا تفعل هنا.. وهنا!».

وأشارت بشراسة إلى أكوام الأغصان على الأرض.. وما بقي من بستانها الجميل.

قال أنريكو بهزة كتف غير مبالية: «أنا أعمل.. فالسنيور بيريز..».

أصدرت أناليزا صوتاً غاضباً حاداً عند سماعها رامون، وأمرت أنريكو كارادونا بأن ينزل عن الشجرة. ووافق أنريكو مذعناً.

أحست أناليزا بغصة بكاء في حنجرتها. إنها تمنح ثقتها سريعاً جداً. كيف يمكن لأحد، وخاصة رامون، أن يفعل بها هذا؟ هل نفد صبره؟ إذا ظن أنه يستطيع إبعادها بهذا التصرف فهو مخطىء. فالأملاك لها وستطورها كما تشاء.

أخذت نفساً عميقاً وحاولت تقدير الضرر. لن تستعيد الأشجار عافيتها في الوقت المناسب لتنتج الفاكهة، وإذا لم يكن لديها ما تبيعه فكيف ستبقى مكتفية مالياً لسنة أخرى؟ وشدّت قبضتيها متوعّدة، فرامون بيريز على وشك أن يسمع أقسى كلام سمعه في حياته!

رأت طيفه الذي لا يمكن أن تخطئه قرب سيارته.. وتمتمت: «جيد».

بدا واضحاً أنه على وشك الانطلاق ليصطحبها.. حسن جداً.. لقد وفرت عليه المشقة! وداست الكوابح بقوة، وتمكّنت من إيقاف سيارتها على بُعد شعرة من سيارته. وكادت تقع من باب سيارتها لشدة استعجالها.

لكنه تحرك أسرع منها، ووصل إلى مقعد السائق الذي غادرته لتوها ثم شد المكبح اليدوي صائحاً من الباب المفتوح: «أظنك نسيت شيئاً».

وأقفلت فمها الغاضب وراقبته وهو يبتعد عن السيارة ناظراً بقلق إلى باب السائق الذي رفض أن يقفل إلاّ في المحاولة الثالثة الأكثر عنفاً.

ربت على سقف سيارتها العتيقة: «لم يحدث أي ضرر».

صاحت أناليزا محذرة: «وفّر كياستك وسخريتك، لدي ما أقوله لك».

ذكّرها بتشدق مثير للسخط: «لكن ستتاح لك فرصة الكلام على العشاء».

ولمعت عيناه تسلية وهو ينظر إليها من فوق إلى تحت، ثم سألها: «هل فن الوحل آخر صيحات الموضة، أم أنّ شيئاً ما فاتني؟».

شدّت قبضتيها إلى جانبيها: «لا.. ولست أدري كيف تجرؤ على ذكر العشاء».

قال بتواضع: «أليس هذا ما اتفقنا عليه؟ يبدو لي العشاء مناسبة للكلام».

ـ حسن جداً.. هذا لأنك لم ترَ ما رأيته.

ـ هذا واضح.

ستجد طريقة ما تزيل بها هذه الابتسامة من عينيه، ووضعت يديها على خصرها وصاحت: «لا تدّعي أن لا فكرة لديك عما أتكلم..».

قاطعها بعنف: «عمّ تتكلمين؟ بماذا تتهميني بالضبط الآن؟».

وتقدّم منها فمدّت ذراعيها لتبعده. لكنه كان أسرع منها بكثير، فصاحت: «دعني!».

وأخذت تهز ذراعها في محاولة عقيمة لإبعاده، لكن قبضته اشتدت.

قال بصوت حاول السيطرة عليه: «لا.. لن تتخلصي مني بسهولة. يجب أن تتحملي مسؤولية اتهاماتك وأفعالك، سنيوريتا ويلسون.. وسنتحدث في الداخل».

قالت غاضبة تشد نفسها إلى الوراء: «لن أضع قدمي داخل المنزل».

ضحكته القصيرة لم تترك لديها أي شك في النتيجة.

ـ هذه منطقتي، وأنا آخذ القرارات هنا.

ورفعها ليحملها إلى داخل المنزل.. دفع الباب بكتفه وتوجّه إلى صالون

www.elromancia.com

كبير، حيث رماها على أريكة جلدية بلون العاج.

- اشرحي لي.

قفزت تقف مرة أخرى، وصاحت: «حسن جداً!».

رفع ذراعيه بحذر ساخر: «دعينا نتحدث بهدوء، أستطيع أن أرى أنك منزعجة..».

- لقد دمرت أشجاري!

وليس لديها المال الكافي لاستبدالها، لكن لا داعي لأن يعرف هذا.

- وتتوقع مني أن أكون هادئة؟

مد يده بمنديل أبيض ناصع وقال: «هاك.. امسحي وجهك».

لم تدرك أنها تبكي بسبب ما تعرّضت له. ولم يكن لهذا علاقة بالفلاح الذي رأته في بساتين البرتقال.. وتجنبت أصابعه كأنها الجمر.

قال رامون مقترحاً: «دعيني أساعدك. تبدين وكأنك وقعت على رأسك في حفرة من الوحل. أنا واثق من أنّ وضعك سيتحسّن حين تتاح لك الفرصة للكلام عن الأمر».

وأخذ من يدها المنديل الرقيق ونفضه، ثم بدأ بتنظيف أسوأ البقع.

أصرت أناليزا وهي ترفع كتفيها: «لا حاجة لهذا».

لكنه تجاهلها. وحاولت أخذ المنديل منه لكنه اقترب أكثر مما أجبرها على دفعه من صدره.. وبذعر، انتزعت يديها بعيداً، وقالت مرتجفة: «لن تستطيع النجاة بفعلتك.. أريد تفسيراً».

رد عليها: «إذاً، سينال كل منا ما يريد إن جلست لنناقش الأمور بتعقل».

حين جلسا إلى الطاولة، سألها: «إذن، ما هي مشكلتك أناليزا؟».

ردت صادقة: «أنت».

ستزيل هذه الابتسامة التي يحاول جاهداً أن يخفيها عن وجهه، ووقفت تواجهه وأضافت: «حقوق المياه، الميناء، والآن أشجار البرتقال».

سأل: «أشجار البرتقال؟ وماذا فعلت بأشجار البرتقال؟».

أطلقت أناليزا ضحكة عجب قصيرة: «لو رأيتها لما احتجت لطرح سؤال».

- في الواقع، سأحب هذا كثيراً.

موافقته السريعة أفقدتها توازنها لحظة، وقالت: «حسن جداً.. ماذا عن رؤيتها الآن، في الحال».

- ولماذا لا؟

والتوت شفتاه في ابتسامة ساخرة. لكن أموراً كثيرة أخرى كانت مخفية خلف عينيه وهو يقف ويشير إليها بأن تقف.

- حين تصل إلى الفينكا سترى لماذا أنا متكدرة.

- مصارعة في الوحل؟

توقفت مسمرة تشعر بنظرته على ظهرها: «لا تمازحني رامون.. هذا أمر جدي».

- حسن جداً.. لا أرى شيئاً لا يمكن لحمام ساخن أن يشفيه.

وجعلها صوته العميق تتصلب مدافعة: «قد تغير رأيك حين..».

قاطعها: «أشك في هذا.. يمكنك وضع لائحة بمطالبك وأعدك بأن أدرس كل واحد منها بدوره. تعالي سنستقل سيارتي.. كلما أسرعنا في الوصول إلى الفينكا، كلما استطعنا تسوية الأمر بسرعة».

رافعت أناليزا ذقنها وتجاوزته.

حين خرجا، نظر إلى سيارتها: «لن تسحبي هذه المركبة من هنا حتى أتأكد من سلامتها.. سأرسل من يتفحصها لك».

- لا داعي..

أمرها مقاطعاً حين ترددت قرب سيارته: «اصعدي. ليس لدي اليوم كله».

صاحت أناليزا بشكل درامي وهي تتراجع لترى رامون بوضوح بستانها

المدمر: «هاك».

نظر حوله: «من فعل هذا؟».

ـ أنريكو كارادونا.

ورأته يسترخي.

ـ ولا تدّعي أنك لا تعرف من هو، لأن أنريكو قال لي إنك أرسلته.

صحح لها رامون صادقاً: «طلبت من انريكو أن يزورك. ولا أحد يأمر أنريكو كارادونا.. فهو يكاد يكون أسطورة».

انفجرت أناليزا صارخة: «ماذا؟ لتدميره أشجار الفاكهة الجيدة؟».

ـ لا.. فانريكو أفضل مزارع في الجزيرة.. وهو مطلوب جداً.. خاصة الآن، في الربيع.

ـ القليل من الاهتمام والرعاية كان كافياً لأشجاري.

ـ لعلها تبدو بخير أمام عينيك غير المدربتين. لكن سنوات الإهمال تخفي المرض في بعضها.. لو استطعت أن أنذرك بأنه قادم لفعلت.. لكن انريكو يضع قوانينه بنفسه.

تمتمت وهي تنظر إلى الخراب: «إذن، بعد أن دبرت أمر كل هذا الخراب، كيف تنوي أن تصححه؟».

نظر إليها نظرة مباشرة.. ودمدم مفكراً، ثم اقترح رافعاً حاجبيه الابنوسيين قليلاً: «العشاء؟».

ـ العشاء!

وجبة طعام ليست كافية للتعويض عن هذا.. وتأملت البستان مرة أخرى.

نظر إليها متحدياً: «هل تفضلين أن نقضي الأمسية في إلصاق الأغصان مكانها؟».

ـ هذا غير مضحك رامون!

قال محذراً: «كلما ازداد جوعي كلما قلّ مزاحي».

كانت العتمة تسود بسرعة.. ونظرت أناليزا بنفاد صبر إلى ساعة معصمها.

ـ في أي وقت يتوقعون وصولنا في المطعم؟

وأغضبها أن تعترف بأن رامون على حق. فالضرر قد حدث، وإذا رافقته على العشاء فقد تنتزع منه تعويضاً لإصلاح الضرر.

قال: «نستطيع أن نأكل ساعة نشاء».

هل يعني هذا تناول العشاء على المركب؟ وأحست بحرارتها ترتفع. لا بدّ أنه يعني هذا. ولعله لا يريد المخاطرة في أن يراه أحد معها.

قال وهو يتأملها ببطء: «لديك ما يكفي من الوقت لتستحمي».

أحست بتجاوب جسمها مع نظرته المتفحصة، وقالت بصوت أجش: «لماذا لا نلغي الموعد؟».

وتذكّرت أنه قد لا يرغب في أن يكون معها لوحدهما إلا إذا أصبح مظهرها مقبولاً.

هز رأسه ببطء ليؤكد: «مستحيل فأنا أريد أن أمحو أحزانك وهي لا تزال طازجة في دماغك».

أصبحت البساتين أقل أحزانها، واعترفت أناليزا بهذا وهي تقاوم لتسيطر على أنفاسها.

تابع: «سيساعدك الحمام لتهدئي. ولن ترغبي في أن تفوتك فرصة التصريح عن كل ما يخالجك، أليس كذلك؟».

نبرة صوته المذنبة قليلاً استفزّتها كثيراً. وقالت موافقة: «حسن جداً.. هذا يناسبني، لكنني سأجهز العشاء بنفسي».

وهذا كفيل بإيقافه عند حده! ففي منزلها هي من يضع شروط اللعبة.

تمتم: «يبدو لي هذا جيداً».

ذكّرته بسرعة: «هذا لقاء عمل صرف».

نظرته المتفحّصة تحوّلت من دون جهد إلى ما يقرب البراءة.

ـ إن غيرت رأيك . .

إن حضرت وجبة بسيطة لاستطاعت قول ما تريده، ثم اندسّت بأمان في الفراش قبل منتصف الليل. قال رامون: «هل نذهب؟».

ـ أنا مستعدة. . كلما أسرعنا في الانطلاق، كلما أسرعنا في حل المشكلة.

هبطت زاويتا فمه بسخرية: «أنا واثق من هذا. . وما إذا كان الآن هو الوقت المناسب. . ».

ليس لديها ما تندم عليه؟ فكرت أناليزا بهذا وهي تضع آخر الأطباق مكانه. . لقد دامت وجبة الطعام لساعات، ثم تحدثا لساعات أخرى. . ولم تدرك من قبل كم تفتقد الأحاديث البسيطة. .

والآن حلّ الفجر وهي وحيدة مرة أخرى. حضّرت له فطوراً سريعاً. . بيض طازج مخفوق مع الزبدة ومطهو قليلاً. .

استدارت عن المغسلة لتمسح بعض الدموع، فقد كانت مشاعرها في الحضيض. وأخذت بضعة أنفاس مهدئة قبل أن تكمل مهماتها التي لم تجد المواساة فيها. بعد انتهاء عملها، لا مكان لها تعود إليه سوى اللحظات التي حلمت فيها بأن يكونا صديقين. في البدء، سمعا طرقاً عنيفاً على الباب الأمامي. . فوقفت عن كرسيها وتوجهت إلى الباب لكن رامون أوقفها، وقال محذراً: «إنها الساعة الرابعة صباحاً. ابقي هنا، سأذهب لأرى من الطارق».

في النهاية، ذهبا معاً. وحين فتح الباب الأمامي، وجدت سائقه أمامهما. كانت عيناه قاسيتين وهما تمران عليها بسرعة، قبل أن يشيح بوجهه ليكلم رامون بالاسبانية. لم تستطع أناليزا أن تفهم الكلام كله، لكنها كانت واثقة من أنه أرادها أن تسمع اسم مارغريتا إضافة إلى كلمة مطار.

بعد رد مقتضب أغلق رامون الباب، واستدار إليها ليقول: «أنا آسف أناليزا. . يجب أن أذهب».

ـ تذهب؟

بالطبع عليه أن يذهب. . كم هي حمقاء! أتظن أنه يحق لها أن تستبقيه؟ فرامون رجل متزوج. وزوجته تحتاج إليه. .

أمسك ذراعيها: «أريد منك معروفاً».

ـ ما هو؟

ـ أيمكنك أن تحضّري لي طعاماً للفطور؟

اعتبر نظرتها الثابتة بمثابة موافقة فيما عرفت أنه غادر المكان ذهنياً، ولا يستطيع الانتظار ليعود إلى حياته الحقيقية. . إلى مارغريتا.

حضّرت له الفطور، وعصرت البرتقال في صمت، وحضرت القهوة. . وحصلت في المقابل على لمسة ناعمة على خدها، قبل أن يقول بسرعة: «آسف. يجب أن أذهب، الطائرة تحط بعد ربع ساعة».

ـ يجب ألاّ تتأخر.

آخر ما رأته هو تلويح من يده، يكاد يكون تحية، بينما الليموزين اللماعة تبتعد عن فناء منزلها وتتجه بسرعة نحو الطريق الرئيسية.

أهذا ما تريده؟ وقت مسروق؟ وفكرت بمحنة أمها التي أحبّت رجلاً لم يكن لها. لكن كيف لها أن تقسي قلبها فلا تفكّر برامون إلاّ على أساس العمل.

***

٥ ـ سباق اليخوت

حاولت أناليزا أن تتنشّط وهي تخرج من باب دارها، وخطر لها: سأغرق لو بقيت هنا ولن يكون البحر هو السبب. رامون ليس صديقها ولا يمكن أن يكون حبيبها. وكلما أسرعت في استيعاب هذه الحقائق، كلما كان أفضل.

لكن شعورها بالسوء لم يمنعها من إطعام الحيوانات ورسمت ابتسامة صغيرة وهي تراقب الكلب يسرع نحو الممر الذي يقود إلى الشاطىء ثم يعود لينبح لها بلهفة.

أخيراً قالت: «حسن جداً.. أستسلم.. لكن يجب أن تنتظر حتى أغير ثيابي».

ركضت صاعدة إلى غرفتها، فالسباحة في الماء البارد كالثلج قد تبعد رامون عن ذهنها.

كان الكلب فودج ينتظرها حين وصلت الفناء. فانطلقت مهرولة خلفه، وخطر في بالها تحذير رامون من السباحة لوحدها. لكن رامون ليس هنا.. وهذا لا يزال شاطئها.. حياتها.

وفكت روبها.. لقد أشار البحر إليها. بدا كالمرآة ما عدا ذلك التنوء الغادر، حيث تقسم الصخور سطحه.. كان يعد بسباحة هادئة.. سباحة مهدّئة. لقد تعلمت درسها، وستبقى بعيداً عن الرأس. وظللت عينيها بيدها، وبدأت تسبح.

راحت تسبح بشدة. خاضت المياه وهي تفحصها بين حين وآخر، بحثاً عن التيار. إذا بقيت بعيداً عن الصخور فمن الممكن أن تسبح إلى شاطىء رامون بأمان تام.. لم تكن فعلتها هذه منطقية، لكن شيطاناً في داخلها كان يدفعها إلى ذلك. لم يكن لديها فكرة عما ستفعل حين تصل.. فهل ستتسلل إلى المنزل؟ أم ستتجسس عليه؟

كانت تملس شعرها بعيداً عن وجهها وهي تسير على الشاطىء حين سمعت أصواتاً بدت وكأنها تقترب منها. تملكها نوع من الخوف وهي تتلفت من حولها بحثاً عن مكان تختبىء فيه. في مكان بعيد قليلاً عند الصخور، بعيد عن الممر المؤدي إلى منزل رامون، رأت مجموعة من الصخور الضخمة المستديرة التي وفرت غطاء جيداً لها.

حرصت على أن ترمي الرمل على الآثار التي تخلّفها قدماها، وتسلقت الصخور بسرعة ثم اندست في شق عميق حيث أمكنها أن تراقب الشاطىء بأكمله.

في البداية، رأت الطفلة.. طفلة جميلة بلون الجوز تضع مشبكاً في خصلاتها السوداء.. ولا يمكن أن يكون عمرها قد تجاوز الثلاث سنوات.. أشرق وجه أناليزا بابتسامة وهي تراقب الفتاة الصغيرة تركض على الشاطىء. ورأت رجلاً وامرأة يركضان في أعقابها.

سارا ملتصقين ببعضهما البعض، وهما يتحدثان، وأحست أن قلبها سيتوقف عن الخفقان. كانت المرأة طويلة كرامون، وشعرها الأسود مربوطاً بشكل عفوي وأنيق في آن. كانت ترتدي فستاناً دون أكمام، عاجي اللون، وتحمل في يدها قبعة قش واسعة.. أما قدماها فكانتا حافيتين، و..

أشاحت أناليزا برأسها، غير قادرة على النظر إليهما أكثر.. إنها مارغريتا.. وشعرت بغصة في حلقها.. رامون لديه ابنة أيضاً.. ولم يعد الألم محتملاً. وللحظة، أغمضت عينيها، آملة أن يكون هذا مجرد حلم مزعج. ثم سمعت الطفلة تنادي، فرفعت نظرها غريزياً.. ورأت يدي

رامون تمسكان بذراعي الفتاة وترفعانها عن الأرض. دارت الصغيرة مرات ومرات وضحكتها المرتفعة تعلو فوق الصخور، فيما مارغريتا تقف جانباً تراقبهما وقد ضمّت يديها معاً بسعادة.

كانت اللوحة السعيدة أشبه بخنجر في قلب أناليزا.. لن تعرّض أبداً طفلة رامون للمصير ذاته الذي عاشته.. فتكبر بين أم تشعر بالمرارة بسبب الهجر وأب بالكاد تعرفه.. وماذا لو اختار رامون البقاء مع مارغريتا؟ لكنه سيبقى. وما عليها سوى النظر إليهما الآن لتعرف هذا.

أخذت نفساً عميقاً ونظرت لآخر مرة إلى الرمل الأبيض الناعم والبحر الذي بدا لونه كلون الجاد. كل شيء جميل، وتكاد تدعوه موطنها.. لكن هذا كله خيال.. حلم يائس يكاد يكون من الماضي.. فموطنها هو بلدة صغيرة في انكلترا، وستعرض الفينكا للبيع في الصباح.

مع مرور الوقت، اقتنعت بأن بقاءها في مايوركا كارثة، ووضعت سماعة الهاتف من يدها.

النقطة الايجابية الوحيدة في الكابوس كانت سمسار العقارات إذ كاد ينحني ليقبل يدها حين اتصلت به لتعلمه أن الفينكا للبيع. وقابل الدون الفونسو الفكرة بالحماس نفسه. بدا مسروراً لتخلّصه من هذه المسألة.

لكن ماذا ستفعل بالحيوانات؟ من هو المستعد لأخذ كلب مسن بشع؟ وخطرت ببالها فكرة أخرى فابتسمت. قد يستغرق الحصول على جواز سفر لكلب بعض الوقت، لكن إذا وجدت من تستطيع أن تثق به ليتولى أمره فيمكنها أن تتأكد من حصوله على اللقاحات والفحوصات كلها.. ولماذا لا؟ حين تباع الفينكا ستتمكن من تحمل كلفة سفر فودج ليعيش معها في انكلترا.

قفزت مجفلة حين سمعت قرعاً قوياً على الباب الأمامي. بدا لها وكأنه اقتحام كما ترى في الأفلام.

صاحت وقد استمر الهجوم العاصف: «حسن جداً.. أنا قادمة».

حت الباب وشهقت: «رامون!».

وحاولت إقفال الباب في وجهه. لكنه كان أسرع منها فرفعها عن الأرض، وصفق الباب خلفهما.

قالت تتلوى بذعر وهي تحاول الافلات منه: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟».

قال رامون بصوت خشن: «ماذا أظن نفسي فاعلاً؟ وماذا تفعلين أنت بحق الله؟».

النظرة التي رمقها بها كانت كافية لدفع من يواجهه للاختباء. لكن بعد رؤيته مع مارغريتا، صممت أناليزا على الثبات.. وصاحت بغضب: «أخرج من هنا!».

رد بحدة وهو يمسك بذراعها: «لن أذهب إلى أي مكان حتى تقولي لي ماذا يجري».

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني.. أنني تلقيت مكالمة هاتفية هامة جداً حين عدت إلى المنزل.

أدارت وجهها عن عينيه المشتعلتين، وقالت: «حقاً؟».

ـ أجل.

وأمسك ذقنها وأدارها لتواجهه: «سمسار في البلدة حاول بيعي فينكا فويغو مونتويا».

أصدرت أناليزا صوتاً مريراً: «حسناً.. أعذرني رامون! لكن، أليس هذا ما أردته بالضبط؟».

ورأت عضلة في فكه تتحرك وهو يحاول أن يسيطر على غضبه.

صاح غير مصدق: «ماذا؟ أتظنين أنني بحاجة إلى سمسار غير كفؤ ليتصل بي ويقول لي إنك تريدين بيع الفينكا؟ هل جننت؟ ألم تفكري في التحدّث معي في الموضوع أولاً؟».

ردّت بحدة: «إنها أملاكي. وأستطيع أن أفعل بها ما أشاء».

www.elromancia.com

اخترقتها نظرته: «لقد خاب أملي، لأنك على ما يبدو لا يهمك أنني عرفت هذا من شخص غريب».

وفجأة، أحست بالتردد، وهاجمت الشكوك عقلها. مع ذلك قالت بغير اكتراث: «بالتأكيد كانت هذه مفاجأة سارة لك».

سأل رامون: «ماذا يعني هذا أناليزا؟».

وحدّق إلى عينيها وكأنه يحاول قراءة أفكارها.

أحست بوجهها يسخن، فردّت: «ماذا يعني؟ هذا واضح بالتأكيد».

وتعاظم غليان الغضب البارد في عينيه: «حسن جداً.. ليس واضحاً بالنسبة لي».

رفعت كتفيها.. يجب أن تضع حداً لهذا، وأن تنهي الأمر الآن.

ـ هذا يعني أنني اكتفيت من مايوركا، وسأعود إلى بلادي.

صاح رامون: «هذه بلادك!».

قالت تجادله: «لا.. كانت بلادي، ولأسابيع بلهاء ضللتني».

هز رامون رأسه ببطء وكأنه لا يفهمها: «كنت على ما يرام..».

ـ أوه.. شكراً لك.

أنت تعني أنني كنت أتحمل فكرة أنك رجل متزوج؟

ـ نظراً للعراقيل التي وضعتها في طريقي..

قاطعها غير مصدق: «عراقيل؟».

وفرك بيده مؤخرة عنقه: «عمّ تتكلمين بحق الله؟ إذا كنت تريدين العراقيل فسوف..».

قاطعته أناليزا ببرود: «لحسن الحظ لن أبقى طويلاً».

وافقها: «من حسن الحظ حقاً».

وقفا في مواجهة بعضهما البعض بتوتر إلى أن خرق رامون الصمت الغاضب: «إذن، لماذا لم تبيعي المكان ما إن وصلت إلى الجزيرة؟».

ـ لأنني اعتقدت أنني قادرة على خوض التجربة، وكنت لأنجح لولا

أنك انحططت إلى مستوى استخدام وسائل..

ـ انحططت..؟ لن أسمح لك بالتملص أناليزا.

رفعت يديها: «حسناً.. دعنا نراجع الوقائع. رغم أنك كنت تعلم أني لا أملك المال لأدفع لك، أصريت على أن أقبل الملابس من مارغريتا ومنك. كما استخدمت فلاحاً اسمه انريكو ليقطع بستان البرتقال، المصدر الوحيد للدخل».

ـ ماذا فعلت؟

ـ لا تتظاهر بالبراءة يا رامون.

واحمر وجهه غضباً، لكنه أبقى صوته تحت السيطرة: «أنا آسف.. كنت أظن نفسي أساعدك».

وتقلصت معدتها، لكنها أجبرت عينيها على إظهار القسوة: «أريد منك أن ترحل».

ـ ربما يجب أن أفعل هذا.

كانت أعصابه مشدودة وهو يكبت غضبه، وقد ظهر هذا في كل عضلة من جسمه، فتراجعت عنه غريزياً حين اتجه نحو الباب.. قال لها من فوق كتفه: «سأقدم لك عرضاً منصفاً للفينكا».

وبالرغم من كل ما حدث بينهما، صدّقته.

حين ذهب رامون، أحست أناليزا وكأنها فقدت الاحساس كلياً. ومر وقت طويل قبل أن تصبح قادرة على التحرّك.

وافقت ماريا تيريزا على تحمل مسؤولية سفر فودج إلى انكلترا، وقالت أناليزا للكلب بمحبة حين جاء لينام تحت قدميها: «قد تكون بشعاً، لكن الجميع يحبك».

وبعد أن تم حلّ الأمور العالقة كلها، خصصت أناليزا بقية بعد الظهر لتوضيب أغراضها القليلة. كان أمامها يومان لمغادرة الجزيرة. ستعيد لرامون كل ما أعطاها إياه. وطوت الملابس الجميلة بحذر، ثم وضعتها في

www.elromancia.com

أكياس مناسبة. ستطلب من سائق سيارة الأجرة أن يوصلها له بعد أن يوصلها هي إلى المطار.

آخر ساعات لها على الجزيرة طارت بسرعة تقطع الأنفاس. وقبل أن تدرك، وجدت أناليزا نفسها تجر آخر حقائبها إلى الباب الأمامي.

سيسكن فودج قريباً مع ماريا تيريزا، وستوصله إلى هناك وهي في طريقها إلى المطار. وتنهدت وهي تنظر إليه.. ثم استدارت حين سمعت صوت سيارة تقترب.

ـ إنها سيارة الأجرة فودج.

وقف الكلب العجوز أمام الباب متصلباً وقد دسّ أنفه في شق صغير في أسفله..

فتحت الباب بحذر بحيث اضطر إلى التراجع، وتصلبت بدورها وقد تملكها شعور بالحذر.

قال صوت امرأة: «أنت لا تعرفيني.. لكن..».

وخطر لأناليزا: لكنني أعرفك. وأخفت صدمتها وهي تتفحص أرملة والدها.

ـ أخشى أني على وشك أن أغادر..

ونظرت غريزياً إلى الطريق فلم ترَ أيّ أثر لوسيلة نقلها.. وتصارع الفضول والكراهية في رأسها إلى أن فاز الفضول.

ـ لكن سيارة الأجرة لم تصل بعد.. ألن تدخلي؟

كانت ترتدي ثياباً أنيقة بلون الخوخ الناعم وتضع القليل من عطر غالي الثمن.

قالت بصوت متعالٍ وهي تتجاوز أناليزا لتدخل إلى غرفة الجلوس الرئيسية: «يا إلهي.. لقد سمعت الشائعات، لكنني لم أتصور أبداً ولو للحظة..».

أكملت أناليزا بنعومة: «أن أجعل من هذا المكان بيتي؟».

ـ حسناً.. أجل.. هذا ما عنيته. لكن المكان رائع فعلاً.

اقترحت أناليزا: «أتحبين أن تجلسي؟».

ترددت المرأة الأكبر سناً، فيما نظرتها تشمل كل شيء حتى الحقائب.

ـ أرى أن التوقيت ليس مناسباً.

قالت أناليزا صادقة: «لن يكون هناك لحظة مناسبة. في الواقع، سأغادر مايوركا.. وإلى الأبد».

ـ أوه عزيزتي.. ظننت..

وكان أسفها كاذباً كالشفقة التي يبديها المرابي.. وأشارت أناليزا إلى كرسي مريح قرب النافذة، وسألت بأدب: «نعم؟».

بدأت سنيورا مونتويا الكلام: «حسن جداً.. قبل وصولك فكرت في أن أشتري الفينكا..».

تركت الجملة عالقة، ورفعت يدها في الهواء كراقصة باليه، وكأنها تفكر في جملة مناسبة.

وساعدتها أناليزا: «مقابل أغنية؟».

ـ هذا وصف جريء جداً عزيزتي.

ـ ألا تظنين أن وقت المجاملة ولى؟ جئت إلى هنا لأطالب بإرثي، لكني وجدت نفسي أقف في وجه رامون بيريز. وسامحيني، سنيورا فويغو مونتويا، يبدو لي الآن أنك تعرّفين عن نفسك كمنافس على هذه الأرض.

بدا من النظرة التي ارتسمت على وجهها أن ما من أحد كلّم أرملة والدها المتأنقة بمثل هذه الطريقة المباشرة.

وقالت سنيورا مونتويا معترفة: «أعترف أنني فوجئت بما سمعته عن المكان، وعن إصلاحك لبساتين البرتقال كذلك».

وكانت رنة صوتها متعالية. فردت أناليزا بجفاء: «على الأقل، نحن صادقتان مع بعضنا».

هزّت المرأة المسنة كتفيها بأناقة. وقالت أناليزا بدافع الأدب وليس رغبة

www.elromancia.com

منها في إطالة اللقاء: «هل ترغبين في شرب شيء؟».

ـ لا.. لا أظن. بالكاد أمامنا الوقت الكافي، أليس كذلك؟

ووقفت كلوديا مونتويا برشاقة: «لكن، ثمة أمر واحد آخر».

ـ نعم؟

ـ هل الشائعات صحيحة؟ والفينكا معروضة للبيع؟

ـ هذا صحيح.

ولاحظت أناليزا وميض الانتصار في العينين اللتين أثقلهما التبرج الكثيف.

ـ إذن.. لم يبقَ لي سوى أن أتمنى لك رحلة سعيدة يا عزيزتي. أما بالنسبة للمستقبل.. حسناً.. كل..

ـ النجاح؟

ـ أجل.. أجل.. بالتأكيد. أتمنى لك النجاح عزيزتي.. وأنا واثقة من أنك تلقيت عرضاً من رامون بيريز.. لكن مهما كان عرضه يمكننا أن نعرض أكثر.

قطبت أناليزا: «تعرضون؟».

حركت كلوديا يدها: «ما أحاول قوله هو أنني سأدفع أكثر من أي عرض قد يتقدم به.. مهما كان ذلك العرض. أتفهمين؟».

ردت أناليزا بلطف: «أعتقد أننا نفهم بعضنا. لكن عليّ أن أعترف بأني لا أرى لما تثير بساتين برتقال في حالة بساتيني مثل هذا الاهتمام الواسع».

ـ أوه.. المسألة ليست مسألة بساتين برتقال يا عزيزتي.. نحن نريد الشاطىء.

جاء صوت سنيورا مونتويا متعالياً بصراحة، وكأنما لم يكن متوقعاً من أناليزا فهم مثل هذه الأمور.

ـ الشاطىء؟

ـ سأجعل محاميّ يتصل بك. وتذكري، مهما عرض رامون عليك،

فنحن سنعرض سعراً أفضل.

ردت أناليزا ببرود: «أوه.. سأتذكر هذا، سنيورا فويغو مونتويا».

لم تشعر بذرة حرارة في هذه المرأة، بالرغم من كلماتها الرقيقة. ورافقت أناليزا أرملة أبيها إلى الخارج وهي تفكر في أن السنيورا مونتويا ليست صديقة. لم تنظر إلى الخلف وهي تصعد إلى سيارتها الرياضية الحمراء الصغيرة الغالية الثمن، وأدركت أناليزا أنها أتمت مهمتها، فأغلقت الباب واستندت إليه متنهدة بارتياح.

مسحت أناليزا يديها على مقدمة الثوب الذي اختارته للسفر، وابتسمت ابتسامة باهتة. بدت ملابسها رثة مقارنة مع ملابس سنيورا مونتويا الفاخرة. فمنذ الكارثة التي حلت بالفستان الأبيض، لم تتح لها فرصة للتسوق.

ودفعها الفضول نحو النافذة حيث وقفت للحظات تراقب سيارة كلوديا مونتويا حتى اختفت.

كان المطار في ماهون نظيفاً وعصرياً، ولا تعمّه الفوضى المحمومة التي تشهدها المطارات الكبرى. كانت أناليزا متوجهة إلى مكتب شركة الطيران حين انتبهت للمرأة التي تقف في طريقها، فتوقفت مسمّرة. لكنها استجمعت شجاعتها، وتابعت طريقها بتصميم. ستضطر للاستدارة لتتجنّب المرأة الجذابة التي وقفت أمامها.

ـ أناليزا؟

وتوقفت أناليزا جامدة، وشعرت بوخز في ظهرها وقد أدركت أن مارغريتا خلفها تماماً. استدارت ببطء لتحدق إحداهما إلى الأخرى.

كانت مارغريتا أكثر جمالاً مما تصوّرت حين رأتها عن بعد. بدا شعرها الأسود اللماع الكثيف أنيقاً وهو مربوط بمنديل رقيق. كانت ترتدي ثوباً واسعاً بلون الجاد، ولاحظت أناليزا أنّ جمالها طبيعي ولا يمت بصلة إلى تصنع كلوديا مونتويا، فتبرجها يقتصر على أحمر شفاه داكن زاد من جمال

شفتيها، ولمسة ظل فوق عينين لونهما بني فاتح.

أظهر تعبيرها فضولاً طبيعياً، إضافة إلى الارتياح لأن انتظارها انتهى.. وخطر لأناليزا أن مارغريتا لا تملك أيّ فكرة عن تصرفات رامون، ماذا تفعل هنا إذاً؟

كسرت مارغريتا الصمت أولاً، وسألت بصوت يحمل لكنة خفيفة: «ألديك وقت لتناول القهوة؟».

ـ حسناً.. طائرتي...

قاطعتها مارغريت بتعقل: «لن تقلع قبل ساعتين».

وجعل هذا من الصعب على أناليزا أن ترفض من دون أن تبدو فظة.

ـ يجب أن أسجل اسمي.

ـ سأساعدك.

ومن دون أن تنتظر الرد، أخذت مارغريتا جواز السفر والوثائق من يدها وتقدمت إلى المكتب. فسارع شبان عديدون لمساعدتها.

عادت لتعطي أناليزا المغلف الفارغ وجواز السفر: «هاك.. لقد انتهينا.. أيمكن أن نفتش عن ذلك الشراب؟».

وسيطر حسّها القانوني على دماغها، فرأت أنّ من الأفضل سماع ما يريد الطرف الآخر قوله قبل أن تفتح فمها.. وبهذه الطريقة لن تضطر إلى كشف أمور لا تعرفها.. لكن غريزتها أبعدت أيّ تحفظ، وأدركت أنها تشعر بمودة نحو مارغريتا.

قالت بعد أن استقرتا في إحدى زوايا المقهى: «كيف عرفت أنني هنا؟».

ردّت مارغريتا بابتسامة سريعة: «أخبرتني ماريا تيريزا.. إنها تحبك كثيراً.. والجميع كذلك».

ـ الجميع؟

شرحت مارغريتا: «أهل القرية.. إنهم يقدّرون ما تحاولين فعله..

والدك كان رجلاً رائعاً. وهم يرون أنك تحاولين تنفيذ وصيته..».

وصمتت لتمد يدها وتلمس ذراع أناليزا: «أنا آسفة.. هل قلت ما أزعجك؟».

فردت أناليزا بصوت منخفض: «لا. لكنني كنت آمل أن أستمر..».

وتحوّل تعبير وجه مارغريتا من العطف إلى القلق: «لا يمكن أن يعني هذا أنك ستغادرين الجزيرة إلى الأبد؟».

فتحت أناليزا يديها في إيماءة عجز: «لم أنجح».

كيف يمكنها أن تشرح؟ ونظرتا إلى بعضهما البعض وأدركت أنهما لو تقابلتا في ظروف مختلفة لأصبحتا صديقتين.

جادلتها مارغريتا.. ومدت يدها عبر الطاولة لتلمس يدها: «هذا ليس ما سمعته.. ما من أحد هنا يمكن أن يفهم سبب عودتك إلى انكلترا. لا بد أنهم مخطئون؟ لا بدّ أنها مجرد زيارة؟».

قالت أناليزا بصراحة وهي تشرب آخر قطرة من قهوتها: «لا.. ما سمعته صحيح، أنا مغادرة إلى الأبد».

ـ هل ستغيّرين رأيك لو قلت لك إن القرويين الذين عملوا لحساب والدك يخططون للاجتماع بعد ظهر اليوم في الفينكا لإظهار دعمهم لك؟

ـ دعمهم..

ـ يريدون العمل لحسابك أناليزا.. من دون أجر في البداية.. سيعملون لبضع ساعات كل مساء حتى تعود الأملاك إلى الحياة. وثم..

ـ لا يمكنني أن أدعهم يفعلون هذا.

ـ ولماذا لا؟ إذا كان هذا ما يريدون..

غطت أناليزا أذنيها في حركة غريزية: «لا! لقد فات الأوان على هذا».

لكن مارغريتا لم تتراجع، وأمسكت بيديّ أناليزا وأنزلتهما إلى الطاولة بقوة.

ـ أرجوك أناليزا. إنهم يستحقون هذه الفرصة.. فكري بهم.. لقد

www.elromancia.com

توسلوا إلي لكي آتي إلى هنا وأحاول أن أجعلك تغيّرين رأيك.

توسلها البريء أحاط بقلب أناليزا كإكليل من الشوك. لكن ردها كان هزة بطيئة من رأسها، فأكملت مارغريتا: «إذا لم ترغبي في العودة من أجلهم، فعلى الأقل عودي من أجل رامون».

حتى تعابير وجهها المذهولة فشلت في إسكات مارغريتا فتابعت تهمس بتوتر: «إنه مدمَّر.. لكنه متكبر جداً..».

انتزعت أناليزا يديها، ووقفت مترنحة: «أنت لا تفهمين.. أنا لا أستطيع..».

ودفعت الطاولة بحركة خرقاء فلم تنجح سوى في إيقاعها على ساق مارغريتا.

ـ أوه.. ! أنا آسفة! أنا آسفة جداً!

أصدرت مارغريتا صوتاً غير مبالٍ وأمسكت بمعصم أناليزا: «إذن.. عودي إلى الجلوس واسمعيني».

صمتت أناليزا قليلاً، ثم استسلمت: «أنت على حق.. آن الأوان لأكون صادقة معك».

ابتسمت مارغريتا مشجّعة: «جيد. أجلسي ثانية.. فيجب ألا نضيع فرصة الحفاظ على سعادتنا».

ـ سأطلب المزيد من القهوة أولاً.

وحاولت أناليزا يائسة أن تعيد تنظيم أفكارها لئلا تتسبب بمزيد من الضرر في حياة مارغريتا.

عادت وهي تحمل بعض الحلويات وفنجانين من القهوة، ثم بدأت الحديث بحذر: «تريدين التحدّث معي عن رامون؟».

بدأت مارغريتا الكلام: «دعيني أكلمك عن زوجي».

ورفعت يدها وكأنها لا تعرف تماماً من أين تبدأ.

ـ إنه متعجرف قليلاً.

وأومأت بيدها بخشونة قبل أن تضيف: «لكنه محب أيضاً...».

وصمتت لتضحك بارتباك، وقد احمرّ وجهها: «أعتقد أنك عرفت هذا من طريقتي في التحدّث عنه.. لكننا نحب بعضنا منذ الصغر».

توقفت عن الكلام لتبتسم، ثم تابعت: «لا تبدي مثل هذا الحذر. أنا آسفة إذا كنت أحرجك. أعرف أننا التقينا لتونا، لكنني أشعر أننا يمكن أن نكون صديقتين».

أخفضت أناليزا نظرها وهي تبتسم.. هل يمكن أن تصبح الأمور أكثر سوءاً!

وتابعت مارغريتا، غير مدركة تأثير كلماتها: «الفراق بيننا حتمي.. لكن الأمر قد يكون مختلفاً بالنسبة إليك أناليزا.. لا يحق لي أن أطلب منك هذا، لكنني سأفعل على أي حال.. ومن أجلنا جميعاً.. أرجوك، لا تعودي إلى انكلترا».

هزت أناليزا رأسها بعناد: «يجب أن أعود».

حركت مارغريتا قهوتها فيما استمر الصمت بينهما، وأخيراً قالت: «أنت إذن ترتكبين غلطة فظيعة».

سألت أناليزا غير مصدقة: «كيف تستطيعين أنت، من بين كل الناس، أن تقولي هذا؟».

ارتفع كتفا مارغريتا النحيلان في هزة أنيقة: «أعرف كل شيء عن رامون».

ـ وماذا قال لك بالضبط؟

مالت مارغريتا إلى الأمام وهمست: «إنه يحبك أناليزا».

ـ أنا آسفة..

ـ آسفة؟ ولماذا أنت آسفة؟

وقضمت مارغريتا قطعة حلوى مغطاة بالسكر.

ـ ابنتك..

www.elromancia.com

أصبحت عينا مارغريتا كالذهب السائل وسألت: «وما دخل صغيرتي أوريليا في هذا؟».

هل العلاقات العائلية غير مهمة عند الأثرياء؟ هذا ما تساءلت عنه أناليز، وهي تعرف أن هذا لا ينطبق عليها: «أنا آسفة مارغريتا.. لكن علي حقاً اللحاق بالطائرة..».

قالت مارغريتا: «إذاً، أنا آسفة من أجل رامون، وآسفة على نفسي أيضاً، فأنا أشعر بالوحدة..».

وصمتت، تلوّح بيدها محرجة وهي تفتش في حقيبة يدها، والدموع تنهمر على خديها.

ـ بالتأكيد زوجك..

هزت مارغريتا رأسها وهي تجفف دموعها بمنديل: «حين يكون معي أصبح أسعد امرأة على وجه الأرض.. لكنه يسافر كثيراً.. والآن أنا حامل مرة أخرى..».

وتكسر صوتها بالبكاء.

أحست أناليزا بأحشائها تعتصر وتمكّنت من أن تقول بخفة: «هذا أمر جيد».

صاحت مارغريتا بحرارة: «جيد؟».

وتراجعت تستقر في كرسيها ثم هزت رأسها: «بالطبع أنت على حق. إنها أخبار رائعة، لكنني أريد أن أشاركه كل هذا..».

وأساءت فهم تعابير وجه أناليزا، فأضافت: «ألا ترين أناليزا؟ سألد الطفل حين يعود».

ـ وهل رامون مسافر؟

ـ رامون؟

رفعت أناليزا صوتها تسعى يائسة للتوضيح: «ألم تخبريه عن الطفل؟».

ـ بالطبع قلت له.

وكان التأكيد كضربة على قلبها.

ـ إذن..

أمسكت مارغريتا يدها: «يمكنك أن تجعليه يفهم شعور المرأة، سيصغي إليك..».

ـ لا! حقاً! لا أعتقد أنني..

أصرت مارغريتا: «لكن، يجب أن تفعلي.. أعرف أن رامون يهتم جداً بالسباق لكن..».

وتأملت المقهى كله ثم استقرت نظرتها ثانية على وجه أناليزا، وصاحت بصوت يرثى له: «أنت أملي الوحيد».

سألت أناليزا: «السباق؟».

لا يمكنها الجلوس هنا من دون أن تقول شيئاً..

أكملت مارغريتا: «سباق اليخوت.. السباق حول العالم.. يجب أن يتوقف.. وإذا طلب رامون إيقافه فسيتوقف.. يجب أن تكلّميه من أجلي.. لا أريد لطفلي أن يكبرا ويتساءلا من هو والدهما..».

قاطعتها أناليزا: «مهلك».

شعرت وكأنها تحاول إيجاد طريقها عبر ضباب كثيف، وأكملت: «أتظنين أنني قد أساعدك لو تكلمت مع رامون؟».

فأعلنت مارغريتا هامسة بحرارة وهي تمسك يد مارغريتا: «أعرف أنك ستساعديني».

ـ لكن، ماذا سأقول له؟

أسرت مارغريتا نظرتها بنظرة براقة كثيفة: «قولي له إنني أفهم شعوره وأعيش حبه.. قولي له أن يمنع أخاه من المشاركة في سباق اليخوت حول العالم! قولي لرامون إن لويس يجب أن يبقى هنا، مع زوجته وولديه!».

***

www.elromancia.com

٦ ـ مؤامرة دنيئة

كانت أناليزا مسرورة بالرجوع إلى منزلها، لكنها خائفة أيضاً. لقد سهلت مارغريتا كل شيء بمجرد ابتسامة، لكن يلزم أناليزا وقت طويل لتستعيد كامل وعيها.

التفكير في رؤية رامون مرة أخرى، كان يجعل معدتها تتشنج. لقد أساءت الحكم عليه، لكنها ستحاول وضع الأمور الشخصية جانباً لتنقذ الفينكا.. ومهما قالت مارغريتا، فبعد آخر لقاء بينهما لن يرغب في أن يكون له شأن معها.

ـ سنصل عما قريب.

أضافت مارغريتا بإصرار: «أغمضي عينيك».

ـ لماذا؟

ـ سترين عما قريب. أغمضيهما فقط.. هاك! الآن تستطيعين أن تنظري.

كانت السيارة قد توقفت في الفناء، وحين فتحت عينيها، خرجت أناليزا بسرعة، وهي تهز رأسها بحيرة: «أنا لا أفهم..».

صاحت مارغريتا بانحناءة ساخرة: «أهلاً بك في بساتين البرتقال الشهيرة فينكا نويغو مونتويا، سنيوريتا أناليزا».

وشهقت أناليزا.. رأت مجموعات صغيرة من الرجال تعمل في دهان

وإصلاح المباني الخارجية.. وفي البساتين، استطاعت أن ترى الكثير من الناس يقتلعون العشب الضار، وينظفون، ويزيلون آثار الإهمال. وبدا أن نصف القرية مشغول بالعمل.

ـ لا أستطيع أن أصدق هذا.. هذا رائع..

قاطعتها مارغريتا وهي تمسك يدها: «أنظري إلى هذا!».

واستدارت أناليزا لترى رجلين يحملان بيتاً لخلية نحل تحت إشراف ماريا تيريزا.

عند رؤيتهما، وقفت ماريا تيريزا مسمرة: «لقد عدت!».

ابتسمت أناليزا وهزت كتفيها ثم رأسها وهي تنظر إلى الصندوق الأبيض: «لماذا نحتاج إلى هذا؟».

قالت ماريا تيريزا: «للنحل».

كررت أناليزا دون فهم: «النحل؟».

قالت ماريا تيريزا بإصرار: «يقولون إن النحل هو «كيوبيد» البستان، فمن دونه لا فائدة للزهر، ومن دون زهر..».

وهزت كتفيها، فاعترفت أناليزا: «ما كنت لأفكر في هذا. كيف يمكن أن أشكركم..؟ أن أشكر الجميع؟».

واستدارت دورة كاملة ليسمع كل من يصل صوتها إليه.

قالت ماريا تيريزا بذكاء: «بتوظيفنا وعائلاتنا حين تبدأ بساتينك بالإنتاج».

ـ لكنني لن أستطيع أن أدفع.

جادلتها ماريا تيريزا: «لديك البيض.. والدجاج.. وحمار نستطيع استعارته.. وقريباً جداً سيصبح لديك برتقال.. الكثير من البرتقال».

كشرت أناليزا وقالت وهي تنظر بألم إلى البستان: «لا أعتقد هذا.. لقد مرّ أنريكو من هنا».

ابتسمت ماريا تيريزا لها: «بالضبط سنيوريتا! لقد مر انريكو من هنا

www.elromancia.com

وستحمل الأشجار الكثير من البرتقال، انتظري لتري!».

استدارت أناليزا نحو مارغريتا: «هل هي على حق؟».

أجابت مارغريتا بابتسامة: «ماريا تيريزا دائماً على حق.. اسألي الجميع».

كشرت أناليزا وهي تتنهد: «لقد سألت.. سألت رامون، ولم أصدقه حين قال إن هذا سيساعد. ولم أصدقه بخصوص انريكو.. أو في أي شيء آخر».

لامست مارغريتا ذراعها بلطف، وقالت: «أعرف.. لكن حين يعود، يمكن لك أن تشرحي له».

وصدمتها المفاجأة وخيبة الأمل معاً، فسألت: «يعود؟ أتعنين أنه غادر الجزيرة؟».

ـ غادر قبل أن أعرف بنوايا القرويين. جاء ليأخذني من المطار لأن لويس طلب منه ذلك، قال إنّ لديه شيئاً هاماً يفعله، ثم ركب طائرته الخاصة ورحل. وما إن عرفت أنك جادة في رحيلك. حتى جئت لأجدك».

ـ أنا مسرورة جداً لأنك فعلت هذا. أتعرفين إلى أين ذهب؟

هزّت مارغريتا كتفيها: «من يعرف شيئاً عن رامون؟ لديه أعمال في كافة أنحاء العالم. أو لعلها رحلة قصيرة.. ربما سيعود الليلة.. لقد دعت كلوديا إلى اجتماع هذا المساء، ولا بد أنها دعت رامون. ربما يجب أن تحضري أنت أيضاً، إذ أعتقد أن الاجتماع لمناقشة أمر شراء الفينكا فويغو مونتويا.

ـ تعنين لترتيب أمر البيع؟

وافقت مارغريتا: «لا أستبعد شيئاً عنها، فكلوديا تعرف كل المهتمين. لذا فإن تثبيت سعر البيع لن يكون صعباً عليها.. ستحضرين بالطبع؟».

ـ لن يفوتني هذا ولو مقابل مال العالم كله.

قالت مارغريتا بلطف: «أتمنى أن يكون رامون موجوداً من أجلك».

اضطربت مشاعر أناليزا، وتشوقت لأن تراه، خاصة بعد كل ما قالته مارغريتا. لكن إصلاح الأمور سيكون صعباً بالتأكيد.. ومجرد التفكير فيه وقد ترك الجزيرة إلى مكان مجهول، وفي طائرته الخاصة، أظهر لها أنها لا تعرف سوى القليل عنه.

لم يحضر رامون إلى منزل كلوديا مونتويا ذلك المساء. وفي البداية، ظنت أناليزا أنها لا تعرف أحداً، إلى أن لمحت دون الفونسو الذي أخفى جيداً دهشته لرؤيتها.. كما تمكنت كلوديا مونتويا من أن تفعل ذلك.

قالت كلوديا: «لست أدري لما أنت مندهشة لرؤية دون الفونسو عزيزتي؟ كان والدك يثق به.. وأنا كنت متزوجة من والدك لسنوات طويلة».

أجبرت أناليزا نفسها على أن تبتسم. ما الذي دهاها لتدخل عرين الأسد؟ لكن الأوان فات الآن فقد خطا دون الفونسو إلى الأمام ليلقي عليها التحية.

ـ أناليزا! قررت ألا تتركينا، يسرّني أن أجدك هنا.

ـ حقاً؟

والتفت إلى كلوديا: «طبعاً.. لقد اجتمعنا لمناقشة أمر شراء الفينكا».

قالت أناليزا: «هل تعني لبيع الفينكا؟ أنت ما زلت تعمل لحسابي كما أعتقد».

وافق دون الفونسو: «بالطبع.. بالطبع. هذه مجرد زلة لسان».

أكّدت كلوديا: «أرادت العائلة، إضافة إلى كل المهتمين، اللقاء لمناقشة المسألة».

سألت أناليزا: «العائلة؟ لا أرى رامون بيريز هنا، ولا شقيقه لويس، ولا أعتقد أنني تلقيت دعوة.. علماً أنني أستطيع اعتبار نفسي الجهة المهتمة».

صوت كلوديا غضباً: «لكنني زرتك.. ألا تذكرين؟».

ـ لا أذكر أنك ذكرت هذا اللقاء.

ذابت ابتسامة زوجة أبيها بسرعة، وقالت: «وكيف لي أن أعرف أنك ستغيرين رأيك وتبقين؟ أوه.. أنظري! ها هي مارغريتا!».

سألت مارغريتا: «أين رامون يا كلوديا؟ ألم تخبريه عن هذه الأمسية؟».

نظرت أناليزا إلى صديقتها الجديدة باهتمام متجدد، فيبدو أن مارغريتا ليست مجرد وجه جميل. وبدت كلوديا فجأة غير مرتاحة.

قال دون ألفونسو ما إن ابتعدت مارغريتا: «يجب أن أعترف بأنني مندهش لرؤيتك هنا».

ردت أناليزا بنعومة: «لكنك بالتأكيد مسرور لأنني قررت البقاء.. وما كنت لأعرف أبداً بهذا اللقاء.. وبما أنه معقود لمناقشة مسألة التخلص من فينكا فويغو مونتويا..».

وافق دون ألفونسو: «أجل.. أجل.. لكنني أخشى أن يكون لدي أخبار سيئة لك».

وجدت أناليزا صعوبة في إخفاء رأيها الحقير به: «حقاً؟».

ـ لن تتصوري كم ارتحت لأني سأتمكن من شرح الأمر لك شخصياً..

ـ هيا.. افعل دون ألفونسو.

وكاد صبرها معه ينفد.. فعدم اطلاعها على المعلومات الصحيحة لا يمكن اعتباره لصالحها، فهو إما غير كفؤ، وإما متورط في صفقة مشبوهة مع كلوديا مونتويا..

ـ لقد تراكمت الديون على الفينكا عبر السنوات سنيوريتا ويلسون.

ـ لكن.. كان لدى والدي المال..

فتح يديه وقال: «في مكان آخر.. أين بالضبط؟ لا أحد يعرف.. وأخشى ألا أتمكن من رد الدائنين أكثر».

لم تسمع في صوته أي ذرة من المشاعر. وأدركت أناليزا متوترة أنه لا ينوي حتى الدفاع عنها.. قالت بتصميم: «مهما يكن.. ثمة أناس

سيعملون معي جنباً إلى جنب».

ـ عزيزتي الشابة.. أنت لم تفهمي قصدي.

قالت ببرود: «أوه.. حقاً؟».

كانت مصممة على ألا تسمح لأي شخص بأن يعاملها بتعالٍ.. أو بأن يبقي المسائل غامضة كي يغضبها. أولاً، يجب أن تعرف كل ما يعرفه.

وتابع: «إلا إذا استطعت جمع ما يكفي من المال قبل آخر الشهر، فالمصارف ستطالب بديونها وستعود الفينكا إلى الدائنين.. وتباع».

ورغماً عنها لكلوديا مونتويا؟ لا.. ولو على جثتها!

ـ أناليزا..

استدارت لترى مارغريتا تمسح جبينها بيد وتشد شالها بضعف باليد الأخرى، وقالت: «هلاّ ذهبنا أرجوك، أشعر أنني سيغمى علي».

وراح دماغ أناليزا يعمل بسرعة... الطفل!

ـ بالطبع.. هل أنت بخير؟

تمتمت مارغريتا: «سأكون بخير ما إن أخرج من هنا».

وأمسكت ذراع أناليزا بقبضة ثابتة.

انحنى دون الفونسو لهما، لكن أناليزا استطاعت أن تلمح الخبث في عينيه.

قالت مارغريتا ما إن أصبحتا في الخارج: «آسفة.. لكن لو بقيت لحظة أخرى، كنت لأتسبب بمقتل أحدهم».

ـ أتظنين أنهم نظموا اللقاء هذا المساء وهم يعرفون أن رامون مسافر؟

هزت مارغريتا رأسها وهي تفتح باب الليموزين: «طبعاً.. أين السائق؟».

ونظرت حولها: «لا تجدينه أبداً حين تحتاجين إليه».

قالت أناليزا مطمئنة: «لعله ذهب ليحضر شيئاً يأكله، نستطيع الانتظار..».

www.elromancia.com

فاطعتها مارغريتا: «لا.. لا نستطيع الانتظار.. أنت لا تعرفين هؤلاء الناس.. لكنني أؤكد لك أن أعمالهم لا تمت للقانون بصلة. وهم ليسوا مهتمين بسلبك ميراثك، بل لقد اجتمعوا لتدمير رامون».

ـ لكنك مدعوّة.

ـ أنا واثقة من أن هذا جعلهم يرتجفون.

وضحكت مارغريتا باستخفاف: «حضرت إلى هنا لأقدّم لهم عرضاً للملابس وحسب. أناليزا، ليس لديك فكرة.. لكن ما من واحد منهم يعتبرني كأي نوع من التهديد..».

وصمتت حين صعد سائق رامون إلى مقعده وهمست في أذن أناليزا: «يجب أن نتصل برامون بسرعة، قبل أن تتسبب كلوديا بالمزيد من الضرر».

وقالت تخاطب السائق بالاسبانية: «إلى الڤيلا.. أرجوك».

ـ لا بدّ أنّ والدي كان يعرف حقيقة كلوديا.

فقاطعتها مارغريتا ساخرة: «كان والدك شريفاً أكثر من اللزوم، وأكثر من مصلحته. ولهذا، أضاع حياته كلها وهو يحاول منع تلك العاهرة الجشعة من تدميره».

صراحتها أجبرت أناليزا على الابتسام: «وهل دون الفونسو متورط؟».

ـ طرد أبوك الدون الفونسو منذ سنوات. ودهش الجميع حين عاد للعمل لحسابك.. لكن لم يكن من واجبنا أن ننصحك.

تأوهت أناليزا بصوت منخفض وهزّت رأسها. لم تصدق أنها سارت كالعمياء في هذا الطريق.

ـ قال دون ألفونسو إن المصارف على وشك المطالبة بديونها.

سألت مارغريتا: «ماذا قال بالضبط؟».

ـ قال إنني مفلسة.

عبست مارغريتا: «لا أصدق هذا. والدك كان رجلاً ثرياً جداً، ولا بد أنه ترك لك بعض المال».

أصرت أناليزا: «صدّقي.. والدتي كانت فقيرة، وحين بعت المنزل في انكلترا، صرفت ما حصلت عليه من مال على الفينكا، وعلى تدليل نفسي في يوم قضيته في الخارج».

هزت مارغريتا رأسها وهما تستديران عن الطريق الرئيسية وتسلكان الطريق المليء بالحفر.

ـ هذا غير معقول، أتمنى لو أستطيع الاتصال برامون.. فسيعرف ماذا يفعل.

فقالت أناليزا: «حسناً.. إنه ليس هنا. لذا يجب أن أحل المشكلة بنفسي».

جادلت مارغريتا: «لو استطعنا أن نجده، أعرف أنه سيساعد».

ـ كيف؟

ـ يمكنه أن يقرضك المال.

قالت أناليزا بحزم: «لا، لن أستدين المال أبداً من رامون. لقد فعلتما، أنتما الاثنين، ما يكفي لي».

قالت مارغريتا من دون اكتراث: «لم أفعل شيئاً بعد.. لكن ثمة ما يمكن أن أفعله لك».

ـ ماذا؟

ـ يمكن أن أعيد لك تذكرة السفر.

ـ ولماذا؟

ـ ربما كان لأمك مجام في انكلترا؟

ـ ألا تعتقدين أنني تحدثت إليه؟ أؤكد لك أنّ ما من إيداعات مالية سرية تنتظرني هناك.

أصرت مارغريتا بعناد: «أنت لا تعرفين كل شيء بالتأكيد».

ـ بل أعرف.. لقد تركت أمي كل ما تملكه لي.. هناك بضعة أسهم وحصص تنتظر أن تباع.

www.elromancia.com

قالت مارغريتا: «أعتقد أنه يجب أن تعودي إلى انكلترا وتطلبي موعداً مع المحامي، لتعرفي عدد الحصص والأسهم».

ـ ماذا تحاولين أن تقولي مارغريتا؟

ـ إنها مجرد فكرة. وحين تصلين اتصلي بكافة الفنادق الفخمة.

ـ لا أستطيع تحمل كلفة الإقامة..

ـ ليس لك أيتها السخيفة.. بل رامون.

تمتمت: «رامون.. أتظنين..؟».

وبدأ قلبها يقصف كالرعد.

قالت مارغريتا بصراحة: «لست أدري ماذا أظن، ولا أريد إثارة أملك. لكن، بعد ما رأيته في الفينكا.. هؤلاء الناس الذين يضعون ثقتهم فيك.. ثم رأيت أسماك القرش في منزل كلوديا.. يجب أن تستمري في البحث أناليزا إلى أن تستنزفي آخر الإمكانيات».

عندما استوت الطائرة في الجو، فتحت أناليزا المغلف البني الذي كان ينتظرها في المطار وراحت تقرأ الأوراق مرة أخرى. لم تكن قد شاهدت مثل هذه الأرقام من قبل... هذا العرض مقابل الفينكا، قدّمته كلوديا فويغو مونتويا.

دست الرسالة في المغلف، ثم دست المغلف في سلة المهملات إلى جانبها. مال العالم كله لا يمكن أن يغريها ببيع الفينكا.. لا بد من طريقة لإنقاذها، ولن تستسلم من دون مقاومة.

بدا لها غريباً أن تعود إلى موطنها وتشعر أنها غريبة فيه.

كانت الرياح الشمالية باردة. لمحت باصاً، فأسرعت أناليزا تقطع الشارع، لتصل إلى موعدها مع محامي أمها. كانت قد نزلت في فندق صغير، بعيداً عن الطريق العام. وبعد أن دفعت الأجرة، تحرك الباص إلى الأمام. والباص تغيير كبير عن الليموزين، لكن إذا كان سيوصلها إلى من يمكن أن يساعدها على إنقاذ القينكا، فهذه أفضل وسيلة نقل على

الأرض.

وقفت مسمرة في مكانها، وأخفت ذقنها في سترتها. كان قلبها ينبض بسرعة حتى عجزت عن أن تتنفس.. لا يمكن أن تخطئه حتى وهو متدثر بمعطف من الكشمير. واستدارت لتلتقط أنفاسها، آملة ألا يكون قد رآها بعد. إنها بحاجة لبعض الوقت لتفكر، لتتحضر...

ـ أناليزا؟

رفعت ياقة سترتها إلى الأعلى، وبدأت تسير نحوه.

ـ تبدين متجمدة من البرد.

وعلى الفور ارتفعت يداه إلى كتفيها يدعكهما ليبعث بعض الدفء في جسمها.

ـ أنا بخير.

لكن لمسته زادت من اضطرابها. وجادلها رامون: «لست بخير، تعالي، سأشتري لك القهوة.. لتدفئك».

رفعت نظرها إلى وجه رامون الوسيم المألوف: «لماذا أنت هنا؟».

كل ما كانت تفكر فيه هو قول مارغريتا إنه يحبها.. وبدلاً من أن تشعر بالخجل، يمكنها التنعّم بدفء المشاعر التي تسري في عروقها تجاوباً مع نظرته.

ـ قد أسألك السؤال نفسه.

ـ هذا موطني.

قال رامون بنعومة: «صدقي أو لا تصدقي، أنت لست بحاجة إلى إذن للمجيء إلى هنا».

ذكّرته بصوت منخفض متحدٍ: «لم تجب بعد عن سؤالي».

سأل: «أين تقيمين؟».

أصرت أناليزا: «أجب على سؤالي أولاً».

وأجابها رامون.. بنظرة متسلية، ثم صمت..

قالت: «أنت حقاً الشخص الأكثر إثارة للسخط».

وافقها: «هذا ما قيل لي.. إذن، أين تقيمين؟».

رمقته بنظرة ساخطة ثم استسلمت: «في فندق «شجرة الدردار»».

فكّر للحظة ثم قال: «لم أسمع به».

وفكرت أناليزا: هذا ليس مدهشاً.. فالمكان بسيط للغاية.

قال مقترحاً: «دعينا نذهب إلى حيث أقيم».

ذكّرت نفسها بسبب حضورها، وقالت: «في الواقع لا أستطيع، لدي موعد مع المحامي».

سأل: «پاترسون؟ أريدك أن تقابلي شخصاً آخر».

ـ كيف عرفت اسم محامي أمي؟

قال رامون بإصرار: «لا تكوني ساذجة إلى هذا الحد. ما الذي يبقيني منفوّقاً في أعمالي برأيك؟».

قالت بارتياب: «لا أرى أي علاقة بين محامي أمي وأعمالك».

تمتم: «كما قلت أناليزا، لا تكوني ساذجة إلى هذا الحد».

قالت: «ألا تعرف أنه لا يحق لپاترسون أن يبحث أموري معك؟».

بالكاد عرفت ما إذا كان عليها أن تهتم بتدّخله في أمورها الخاصة أم بالبريق الذي في عينيه.

وقال: «لا تتخذي هذا الموقف الدفاعي.. قد أعرف اسمه، لكنني لم أتوقع منه كشف أي سر..».

قاطعته أناليزا: «إذن كيف عرفت بموعدي معه؟».

ـ كانت سكرتيرة پاترسون أقل تكتماً.

تصورت أناليزا لهفة السكرتيرة لتكون لطيفة قدر الإمكان.

وسألت: «إذن، من هو المحامي الآخر؟».

ـ إنه محامي استئناف.. أترغبين في أن آخذك لمقابلته؟

فردّت بتصميم بارد: «لا.. شكراً لك، أنا واثقة من أن السيد

پاترسون سيقول لي كل ما أحتاج أن أعرفه».

ـ حسن جداً.. إذا واجهتك أي مصاعب..

أكدت له: «لن تواجهني».

لكن حين حاولت أن تتحرك، شيء ما في عينيه منعها: «لماذا أنت هنا رامون؟ لا شك أن فينكا فويغو مونتويا مشروع صغير في كفة ميزان أعمالك؟».

قال: «أنا لم أرتكب أي جريمة».

وتأمّلت نظرة أناليزا وجهه، بحثاً عن علامة ما.

ـ أتقول صدقاً إنك لم تستطع أن تجد محامياً قريباً من موطنك.

لم تستطع منع نفسها من أن تلاحظ كيف تجعّدت زاويتا عينيه حين ابتسم.. وأشاحت بنظرها بعيداً، فلديه فريق عمل من رجال القانون. فماذا يحاول أن يفعل؟

قال: «ما من أحد في فريق عملي يملك المؤهلات المناسبة ليتولى هذه القضية».

ضغطت أناليزا على شفتيها، وضاقت عيناها.. أتتهمه بالكذب؟ من الصعب التفكير بوضوح ورامون يقف أمامها.

أخيراً قالت: «حسن جداً.. هلاّ عذرتني فموعدي بعد خمس دقائق..».

ـ سأنتظرك.

وتمنت أن تبدو هادئة رغم أنّ دقات قلبها كانت متسارعة جداً: «إذا شئت».

انحنى لها بوقار، وساور أناليزا إحساس مماثل للشعور الذي اختبرته في أول لقاء لهما... أحسّت أنه يعرف أكثر بكثير مما تعرف..

* * *

٧ ـ أمل كاذب

ـ أتعني أني لا أملك شيئاً؟

ـ أعني أنك لا تملكين ما يكفي لإنقاذ الفينكا.. أنا آسف آنسة ويلسون.

ابتلعت أناليزا ريقها بصعوبة ونظرت إلى يديها المطويتين في حجرها، ثم رفعت نظرها إلى وجه محامي أمها وقالت: «حسناً.. شكراً لك سيد باترسون على صراحتك معي».

ـ كنت أتمنى لو أزفّ لك أخباراً جيدة.

تنهدت: «كنت أعرف أنه أمل في غير محله، لكن كان عليّ أن أجرب».

أكمل المحامي بلهجة أكثر إيجابية: «لكن إذا بعت الفينكا فستصبحين شابة ثرية جداً».

ضحكت أناليزا من دون مرح: «هذا صحيح.. لكنني كنت آمل..».

وتنهدت مرة أخرى. فقال باترسون متعاطفاً: «أعرف، يبدو أن الحياة تعطي بيد وتأخذ بالأخرى».

قالت أناليزا، وقد استرخى وجهها في ابتسامة: «أنا واثقة من هذا.. وأنا في الواقع لا أتذمر. وكما قلت سيصبح لديّ ما يكفي من المال لأعود وأفتح مكتب محاماة».

ـ أشعر أن هذا يخالف ميل قلبك.

اعترفت: «أنت على حق».

ـ أتقبلين نصيحة صغيرة مني..؟

ـ بالطبع.

ـ اتبعي ما يريده قلبك.

اتسعت عينا أناليزا دهشة. لم تتوقع هذه الفكرة الرامونسية من محامي أمها.

ثم ابتسمت وهي تقف وتمد يدها: «شكراً لك سيد باترسون.. لو نجا حلمي من قسوة الواقع، فستكون أول من يعلم».

زفرت أناليزا بارتياب وهي تنزل السلم الضيق لتصل إلى الشارع.. منذ متى كان المحامون متفائلين؟

وتقدمت إلى حيث يقف رامون قرب سيارته: «ها أنت هنا».

سأل: «وهل ظننت أنني سأهجرك؟».

فتح لها باب السيارة: «كيف سار الاجتماع؟».

ردّت صادقة: «انتهى بملاحظة متفائلة».

ـ يسرّني ذلك. إلى متى ستبقين هنا؟

ابتسمت وسألته: «إلى متى ستبقى أنت؟».

كان يجب أن تكون أكثر ذكاء.

ـ سأبقى قدر ما يلزم.. هل أنت جائعة؟

ـ أجل.. أكاد أموت جوعاً.

شعرت بالدفء والأمان معه، وراحت تنظر من النافذة لترى إلى أين يأخذها. رأت ما بدا كقصر مهيب يبرز أمامها، وسألت بدهشة: «هل هذا لك؟».

هزّ كتفيه من دون اكتراث: «لم يصبح بعد، لكنه فندق جيد، ومطعمه ممتاز».

أوقف السيارة أمام درجات سلم ضخمة وأردف: «تستطيعين استخدام

غرفتي لتنعشي نفسك».

هذه الكلمات أفقدت أناليزا هدوؤها، فقالت بسرعة: «أنا واثقة من أن غرفة السيدات ستفي بالغرض».

عليها أن تبقي تفكيرها واضحاً وذهنها متيقظاً إلى أن تعرف ما يريده.

ـ أواثق أنت من أن لا بأس بما أرتديه؟

نظرت إلى بذلتها الرمادية البسيطة وكنزتها البيضاء. إنه لباس مناسب لزيارة مكتب المحامي.. لكنه غير مناسب لفندق فخم.

صرف النظر عن قلقها، وقال: «ستكونين على ما يرام، وسيسرّني تناول الطعام في جناحي إذا كنت تفضلين. لكني أعتقد أنك ستكونين مرتاحة أكثر في المطعم».

إنه يفهمها جيداً! فلماذا ترتجف؟ لقد تناولت الغداء معه من قبل... والعشاء.

نزل رامون وأعطى المفاتيح لشاب يرتدي بذلة خضراء أنيقة: «شكراً لك..».

واستدار ليفتح الباب لها: «أناليزا؟».

نظرت إلى السلم الذي يؤدي إلى المدخل المهيب، ثم التفتت إلى الخلف، إلى الحدائق الواسعة وقالت: «أنا قطعاً لا أرتدي ثياباً مناسبة».

أمسك يدها: «تبدين رائعة.. ولكي أتأكد من أنك لن تختفي سأبقى ممسكاً بك».

إنه ليس متزوجاً، فلا بأس إن أمسكت يده، لكنها انتزعتها مجدداً حين تذكرت أنه لا يزال خصماً مخيفاً.

قادها على السلم وهو يتمتم: «استرخي..».

أجبرت نفسها على المحاولة، فلا بد أنه جاء إلى انكلترا لشراء الفندق.. لكن لمسة يده.. كانت مكهربة.

باب المدخل المصنوع من خشب السنديان، قادهما مباشرة إلى ردهة

دافئة ذات إضاءة خافتة. وكانت الأرضية مغطاة بالسجاد السميك، ذي اللون الأحمر المتدرج.. رأت لوحات زيتية على الجدران، وبيانو ضخماً عند أسفل السلم. وكان لمعان الكريستال والنحاس، الزخرفة الوحيدة التي لاحظتها فضلاً عن باقات الزهر.

سألها رامون بعد أن أخذ مفتاحه: «أعجبك؟».

ـ مما رأيته حتى الآن، أحببته.

قال: «يجب أن أعترف بأن هذا المكان هو مخبأي الفخم».

ونادى: «لويجي؟».

أسرع إليه رجل في العقد الخامس، يرتدي بذلة رئيس الخدم وصاح بلكنة إيطالية: «سنيور كريانزا بيريز! كيف يمكن أن أخدمك؟».

ـ طاولة بعيدة عن الأنظار لشخصين.

ـ بالتأكيد سنيور.. ووردة حمراء للسنيوريتا الجميلة.

قال رامون بعفوية: «عشرون».

قالت: «هذا حقاً غير ضروري..».

فردّ عابساً: «أناليزا.. أنت في منطقتي.. ومرة أخرى، أنا أضع القوانين هنا».

سألته: «وأين غرفة السيدات؟ أود أن أنعش نفسي قليلاً».

قال لويجي وهو يرمق رامون بنظرة عجب: «إلى يمين مكتب الاستعلام سنيوريتا».

حين عادت وجدت باقة ورد حمراء على منصة إلى جانبهما.. كانت تشعر وكأنها فأرة في بذلة العمل، في حين بدا رامون مذهلاً. مظهره المذهل، وبذلته السوداء الفخمة مع ربطة العنق الحمراء، جعلته يبدو مميزاً عن أي رجل موجود في المكان.

لم يأتِ أيّ منهما على ذكر سبب قدومه إلى انكلترا، إلى أن قال أخيراً: «ثمة شخص أريدك أن تزوريه غداً».

ـ رامون.. قبل أن تتكلم، يجب أن أحذرك..

وصمتت حين بدا متسلياً: «أنا أعني ما أقول رامون، فهل ستصغي إلي؟».

ـ لا.

ـ لكنني..

عليها أن تحذّر نفسها، وأدركت ذلك حين أظلمت نظرته تدريجياً لتصبح مفترسة.

وقال بصوت ناعم: «تريدين تحذيري من كلوديا..».

ومال برأسه إلى الأمام لينظر إلى عينيها وسألها: «أهذا صحيح؟».

ـ حسناً.. أنا..

ـ أعرف.. كل شيء تحت السيطرة، فلا تقلقي. دعيني أعالج الأمور.

ـ لكن ماذا عن..

ـ مارغريتا؟ أثق بأن أخي سيفعل ما هو مناسب.

ـ والفينكا..

قاطعها بحزم: «يمكن أن تنتظر.. بينما أنا لا أستطيع».

وراح يتأملها إلى أن تأكد من أن سخطها أخذ منحى آخر.

واعترفت بصوت أجش: «هناك المزيد».

ارتفع حاجباه قليلاً فأردفت: «أنا.. أنا أدين لك باعتذار».

ـ لأيّ سبب؟

ـ لأني أسأت الحكم.

وعرفت أناليزا أنه لن يسّهل عليها الأمور، حيث قال: «هيا.. تابعي».

وجف حلقها تماماً: «ظننتك متزوجاً.. من مارغريتا».

بدا وكأنه يفكر بكلامها للحظة: «أهناك المزيد؟».

ـ حسناً.. بالنسبة إلى أنريكو.. كف عن هذا رامون!

ـ ماذا أفعل؟

ـ توقف عن النظر إليّ هكذا.

ـ أحب أن أنظر إليك.

ـ لكنك تحب ممازحتي أكثر، اعترف.

ـ مذنب.

وبدا لها أن دقات قلبها سيطرت على جسمها كله، وكانت واثقة وهي تحاول النظر إلى عينيه بثقة، أنه رأى مشاعرها تتراقص في عينيها.

ـ حسن جداً.. أنا آسفة.. لكن..

قاطعها بنعومة: «أقبل اعتذارك. والآن، قبل أن نكمل هذا الطريق، أيمكن أن نعود إلى ما كنا نقوله؟».

ـ ماذا..؟

ـ أريدك أن تقابلي محامياً آخر.

وتنهّدت تنهيدة ارتياح، وأحست بثقة تكفي لتخاطر بإلقاء نكتة.

ـ حسن جداً.. لدي البذلة الملائمة.

مال رامون عبر الطاولة ليطعمها حلوى بالتوت: «اتفقنا على الموعد إذن».

كل ما يفعله مثير جداً.. وأحست بنفسها تتجاوب معه.. تلين.. وأجبرت نفسها على الخروج من هذه النشوة حين قطع التواصل بينهما ليمسح أصابعه بمنديل الطعام الأبيض. لكن حتى هذه الحركة كانت ساحرة، فأصابعه السمراء نحيلة وقوية.. أجفلت وقد أحسّت بالذنب حين أدركت أنه وضع المنديل من يده، وراح يحدق إليها للحظات.

قالت تحتج حين أشار إلى الفاكهة: «لا أستطيع أن آكل المزيد.. حقاً».

التقط حبة فاكهة ونظره مركز عليها: «من العار أن تذهب سدى».

وسال بعض العصير على أصابعه، فراقبته وهو يلعقه مجدداً..

www.elromancia.com

ـ أتشربين القهوة؟

ونظر رامون إليها ينتظر الرد.

قالت تحتج بضعف: «لا أعتقد هذا».

قال لويجي: «آه.. سنيورينا.. لكنني أحضرت لك بعض المربى من إيطاليا مع القهوة الطازجة من الجبال الزرقاء في جامايكا».

تمتم رامون من دون أن يرفع نظره عن وجهها لحظة: «شكراً لك لويجي».

ـ كلكم أسوأ من بعضكم.

سألها رامون بصوت منخفض: «من؟».

ـ الرجال.

ووجدت صعوبة في أن تشيح نظرها، فسألها: «ألا تحبين الدلال؟».

ـ لن أعرفه.

ـ إذن، أقترح أن تخففي من حذرك وتحاولي شيئاً جديداً.. كتغيير!

ومد يده عبر الطاولة ليمسك يدها، وببطء وتكاسل بدأ يتلمس أصابعها واحداً واحداً.

حركته هذه جعلتها تشعر وكأنها الوحيدة المهمة بالنسبة إليه في العالم، وتمتمت: «أود شرب القهوة الآن..».

والتوت شفتاه بابتسامة، إذ أدرك أنها تحاول أن تتهرّب من لمسته.

عندما خرجا من المطعم، استدار رامون وشدها إليه.

ترددت للحظة.. أرادت أن تأتي إليه.. أرادت ذلك بشدة.

وقرر رامون بدلاً منها فشدها بين ذراعيه، ثم تمتم: «مم أنت خائفة أناليزا؟».

ـ أنا لست..

لكنه لم يصدقها، فقال موبخاً بصدق: «قلت لك لا داعي للخوف».

ضمها إليه بحنان لم تعرفه يوماً، واعترتها مشاعر عجزت عن احتوائها

فاستسلمت لهذا الفيض من السعادة.

* * *

في وقت مبكر من الصباح التالي كان على رامون حضور أول اجتماع لمناقشة إمكانية شراء الفندق.. لكنه أصر على أن يتناولا الفطور معاً..

جلست قبالته على الطاولة، وهي ترتدي بذلتها الرمادية البسيطة. كان بينهما تيار، لا بد أن كل من في الغرفة يشعر به.. ونظرت حولها.

بدت كل حركة مميزة... من تلامس أصابعهما إلى لقاء نظراتهما. أحسّت أنها واثقة من نفسها لتتحرك قُدماً نحو المستقبل.. ولعل هذه هي أثمن هدية أعطاها إياها. وأحست بتدفق الدفء في جسمها وهو يرفع رأسه ويبتسم لها.

تمتم: «فكرت بشيء يسليك أثناء حضوري الاجتماع. لقد طلبت لك بعض الملابس، ولا بد أنها وصلت إلى جناحي الآن».

ـ رامون.. ما كان يجب..

قال ببساطة: «يسعدني أن أشتري لك الأشياء».

أخذت نفساً سريعاً وهي تشعر بوجهها يحمّر، ونظرت حولها بارتباك ثم تمتمت: «هل سيطول غيابك؟».

ارتفع حاجبا رامون قليلاً: «سأعود في أسرع وقت ممكن.. كوني واثقة».

وكان صادقاً في وعده، فما إن أنهت أناليزا طي الأوراق وترتيب الأكياس في كومة قرب سلة القمامة، حتى عاد رامون إلى الغرفة. بدا من النظرة التي ارتسمت على وجهه، أن الاجتماع كان جيداً.

وعرضت له الفستان الجديد: «تبدين جميلة».

ـ أنت حقاً كريم جداً. ولا أعرف ماذا أقول..

قال بصوت أجش: «لا تقولي شيئاً.. تعالي إلى هنا فقط».

وتسللت يداه إلى شعرها مداعباً، فاختفت الأفكار من رأسها ما عداه.

تمتمت تسأل: «ماذا سنفعل اليوم؟».

قال: «لسوء الحظ، لدي اجتماعات عمل.. مثلك تماماً في الغد. لكنني مددت إقامتي لليلة أخرى. حجزت لك لتجرّبي صالون التجميل هنا.. أعتقد أنك لن تعارضي؟».

ابتسمت أناليزا له: «أنت تفكر في كل شيء».

أكد لها: «أحاول».

في الصباح التالي، استفاقت أناليزا بنشاط، على أمل لقاء رامون على مائدة الفطور كما فعلت في اليوم السابق. ثارت مشاعرها ما إن رأت قامته الرشيقة وطلته البهية، حيث تقدّم منها مبتسماً، وشدها ليأخذها بين ذراعيه.. ولزمتها قوة إرادة جبارة لتدفعه عنها، قائلة: «أولاً.. عليك إنهاء ما كنت تقوله بالأمس».

ارتفع حاجباه في دلالة إذعان ساخرة، وردد شعراً: «من أجل الحب عانقيني مرة أخرى!... أنا مشتاق، ويجب ألا أتوسل من دون جدوى..».

ـ أنت؟ تتوسل... من أجل الحب؟.

نظر إليها طويلاً: «هل أنت خائفة من الحب أناليزا؟».

ـ أنا لا أخاف شيئاً.

نظر إلى عينيها مباشرة: «لا داعي للتظاهر معي كوبريدا.. كلنا نخاف شيئاً».

نظرته الشاردة أشارت إلى أنّ علاقتهما قد ترتقي إلى مستوى جديد تماماً.. واحتل الخوف مكان الحب في قلبها.. ثمة الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى الرد.. أجل، إنها خائفة.. خائفة من الالتزام، من الارتهان، من الحب.. فالحب هش، لا يمكن معرفة عاقبته، وهي لا تعرف ما إذا كانت تملك الشجاعة الكافية لتعرض نفسها للأذى الذي يرافقه.

قال رامون بلطف لم تعهده منه من قبل: «أعدك بألا أؤذيك أبداً».

فسألت بصوت منخفض: «أتعد؟ وماذا لو حنثت بهذا الوعد؟ لماذا أخاطر؟».

داعب شعرها الأسود الحريري، وتمتم: «إذا لم تخاطري فلن تعرفي».

في تلك اللحظة صدقته ومدت يديها إليه: «من أجل الحب؟».

أكد لها بصوت مغوٍ: «من أجل الحب».

سألته بعد لحظات: «متى سأرى المحامي؟».

ـ في ما بعد. ثمة مسألة أكثر أهمية أريد مناقشتها معك.

كانت لهجته لهجة رجل أعمال، فوضعت الكأس على الطاولة.

قال رامون: «أفكر.. بالشراكة».

ـ الشراكة؟

ـ ولماذا لا؟

ـ أتعني مهنياً؟

ـ لا.. بل شراكة دائمة.. الزواج مدى الحياة.

وصب لهما المزيد من العصير. فسألت أناليزا غير مصدقة: «أهذا طلب زواج؟».

وضع الكأس في يدها: «ما رأيك؟».

كان مصمماً، بارداً، وأحست بالثلج يتسلل ليحل مكان الثقة بالنفس التي عمل جاهداً على بنائها.

ـ الزواج بيننا منطقي جداً.

كادت تختنق وهي تشرب: «منطقي؟».

قال بصراحة: «أجل. بالنسبة إليّ.. إلى أبيك».

ـ أبي مات!

ـ تعلمين أنه كان يأمل أن تعيشي في مايوركا؟

ـ حسناً.. أجل. ربما سأتمكن الآن، لكن..

ـ وربما كان يطمح إلى أكثر من هذا.

ـ ماذا تعني؟

ـ لعل آخر أمنية له هي أن نكون معاً.

إمكانيات عديدة راحت تضج في رأسها.. ربما حاول رامون شراء الفينكا من والدها وفشل.. وأثبتت الابنة أنها هدف أسهل بكثير.. ما عليه سوى إغوائها... وأحست أنها مريضة لمجرد تفكيرها بهذا.

ـ لم أكن أتصور أنك ستصل إلى هذا المستوى وتستخدم وسائل كهذه.

سأل رامون بحدة: «وسائل؟ كان والدك يعتبرني ابناً له، وكان يثق بي ويحبك».

خرجت أنفاس أناليزا متسارعة، وبدت غير مصدقة أبداً: «حسن جداً.. كانت طريقته في إظهار حبه مضحكة».

ـ أنت مخطئة..

تحدّته بغضب: «أخبرني إذاً الحقيقة عن أبي رامون».

نظر إليها بثبات لبضع لحظات: «حين التقى والدك والدتك لأول مرة، كانت علاقته بكلوديا قد انتهت. اعتبر نفسه حراً في أن يتزوج، وكانت تلك نيته».

سمعت التردد في صوته، وقال لها صمته إنه يحاول صياغة الحقائق في جمل مقبولة منها، فشجعته: «أكمل».

ـ ثم قالت له كلوديا إنها حامل.

سألت أناليزا غير مصدقة: «أمن المفترض أن يجعلني هذا أشعر بتحسّن؟».

تابع رامون بهدوء: «لكن كلوديا لم تكن حاملاً. لقد ضحت بسعادة الجميع حين خدعت والدك ليتزوجها.. لم تكن تريد طفلاً بل أرادت ماله فقط».

قالت أناليزا بمرارة: «لكن أمي كانت حاملاً... حاملاً بي.. ونحن عنا معاً».

هز رامون رأسه: «لا، مبادىء الشرف عنده لا يمكن أن تسمح بهذا، وأعلم أنه كان يصرف المال عليك».

قاطعته: «حسن جداً. للأسف، هنا الخطأ في قصتك إذ لم نتلقَ أي مال منه».

ـ أنا واثق من أنك مخطئة.. لكن مهما كانت نتائج البحث بالنسبة لثروتك، فالزواج مني..

ـ وفّر أنفاسك!

هل يظن أنها ستمشي على خطى كلوديا وتتزوجه من أجل ماله؟

ـ حاولي النظر إلى الأمور بهدوء ومنطق. ثمة تجاذب بيننا..

ـ أتعني الرغبة؟

ـ لا تقولي هذا! فما بيننا أكثر بكثير بالنسبة إليّ.. لديك كل ما أحتاج إليه، وأنا لدي..

قاطعته ببرود: «الكثير. ولا تحتاجني لتزيد جوائزك. ولا داعي لأن تشتري أرضي بسعر عادل.. بإمكانك الانتظار إلى أن أفلس».

ثم خطر في بالها أمر آخر: «هل هذا هو موضوع اللقاء مع المحامي؟ لأوقع العقود رامون؟ تغازلني.. وتتم الصفقة.. هل هذا ما تعتقده؟».

كانت عيناه أشبه برأسيّ سهمين مشتعلين غضباً.

ـ لِمَ لا تجلسين وتهدئين وتصغين إلي؟

ـ أصغي إليك؟ لقد أصغيت بما يكفي!

سألها: «لماذا لا تستطيعين أن تثقي بي أناليزا؟».

بدأ صوته عالياً وانتهى هامساً وكأن قبضة عملاقة أطبقت على أنفاسه وانتزعتها منه.

ـ ظننت أننا متفاهمان..

ـ وأنا ظننت أنك تريدني من أجلي فقط، وليس من أجل أرضي.

سأل بغضب: «عمّ تتكلمين؟».

www.elromancia.com

ـ عرضك للزواج ليس أكثر من محاولة سافرة للتلاعب بمشاعري كي تحصل على الأرض لمرفأك!

وصدر عنها صوت غاضب وكأنها فهمت هدفه للتو: «لو بعت الأرض في السوق فقد يسبقك إليها أحد.. كأرملة أبي مثلاً!».

ورفعت نظرها إليه متهمة: «هل تظن حقاً أنني للبيع؟ أتظن أنك قادر على استغلالي لأن لديك المال وأنا لا أملك شيئاً؟ لا شيء عدا تلك القطعة الغبية من الرمال! ما تريده رامون.. هو دمج للمصالح وليس زواجاً!».

قال بهدوء: «ليس لديك فكرة عما أريد.. لقد برهنت هذا بوضوح».

حين لم تجبه، استقام وهو يتنفس بحدة وسخط واستدار مبتعداً: «فكري كما شئت أناليزا! لم يعد لدي ما أقوله لك».

* * *

٨ ـ شمس وماء

رحل رامون وتركها وحيدة، من دون أيّ دليل على أنه كان معها، وهي لا تعرف حتى اسم المحامي الذي أرادها أن تقابله. لكن ألم الوحدة في أعماق معدتها لم يكن له أيّ علاقة بإرثها.

ثم رأتها.. على الطاولة حيث كان يجلس. وبصيحة ارتياح حادة اختطفت البطاقة الصغيرة العاجية اللون وقرأت بخط يد رامون: «ميشيل ديلاني.. محامي استئناف.. تشانس هاوس.. الحادية عشرة والنصف، يوم الأربعاء في الثالث والعشرين». ونظرت إلى ساعتها.. إذا أسرعت فستتمكن من الوصول على الموعد.

أُدخلت مباشرة إلى مكتب مهيب مليء بالكتب..

ـ آنسة ويلسون، يسرّني أن ألقاك. ميشيل ديلاني في خدمتك.. أين تودّين أن تجلسي؟

وأشار إلى مقعد جلدي ثم سأل: «شاي؟ قهوة؟».

ـ أوه.. لا.. شكراً لك..

ـ ربما تبدّلين رأيك بعد أن تسمعي ما سأقوله لك.

وابتسم من فوق نظارته ذات الإطار المعدني. وتلاشت ابتسامتها.. فهي لن تتحمل المزيد من الأخبار السيئة!

جلس المحامي وراء منضدته ودعك يديه معاً وكأن فكرة ما تبهجه: «لا

www.elromancia.com

تبدي القلق أيتها الشابة . . علمت أنك محامية تحوّلت إلى مزارعة».

ـ لعلي تسرّعت قليلاً . .

فقال: «هراء! هراء! ألا تعتقدين أنني سأقايض هذا المكتب القديم المغبرّ ببعض الهواء الطلق؟».

قالت أناليزا وعيناها ثابتتان على شهادته المعلقة على جدار: «يُقال الكثير عن المكاتب القديمة المغبرة».

لوّح بيده مصرّاً: «الشجاعة! الشجاعة آنسة ويلسون، والآن. . إنها هنا في مكان ما».

سألت بلهفة: «ماذا. . ماذا لديك؟».

توقّف عما كان يفعله، ومال برأسه جانباً: «أتعنين أن السنيور كريانزا پيريز لم يقل لك لماذا رتب هذه الزيارة؟».

ـ لم يقل لي شيئاً.

ولم تعترف بأنها لم تدع له فرصة.

قال المحامي: «آه. . تصورت. . لا يهم! لا يهم! أجل! ها هي!».

وسحب ملفاً رقيقاً من وسط الملفات، فسألت أناليزا بفضول: «ما هذا؟».

أداره مفكراً بين يديه: «هذا ملحق لوصية أمك آنسة ويلسون».

ـ لكن. . أما كان يجب أن يحتفظ به السيد پاترسون؟

ـ بصراحة، هذه وثيقة غير رسمية. . رسالة إذا شئت، تركتها لأحفظها.

ـ تركتها أمي؟

ـ هذا صحيح.

وتسارعت دقات قلبها، فسألته: «ألن نفتحها؟».

أخرج من الملف مغلفاً واحداً، وفتح الرسالة بترتيب. وما إن قرأ محتوى الرسالة حتى جمد وجهه. .

ـ آه. . أجل. . فهمت. كل شيء كما تصورت. . الأمر واضح تماماً.

سألت أناليزا وهي تتخوف من رده: «ما هو الواضح؟».

ابتسم. . وبالكاد ظهرت عيناه فوق خديه المنتفخين: «أنت وريثة آنسة ويلسون. . ولثروة كبيرة. . تماماً كما توقع السنيور پيريز. . ».

ـ أيعرف رامون بهذا؟

قال المحامي بحذر: «كان يشك في الأمر. . وأصر على وجود كنز ما. يجب أن أهنئه على بعد نظره وعلى إصراره على إيجادي. . فأنت لم تتركي عنواناً حين بعت المنزل في انكلترا. . أليس كذلك آنسة ويلسون؟».

وافقت ببطء: «هذا صحيح. . لم أفعل».

ووقفت مرتجفة وأضافت: «إذن لم يكن يحاول شرائي. . ».

صاح ميشيل ديلاني، وهو يضرب الطاولة وكأن ما سمعه أطرف شيء: «يشتريك؟ يشتريك! أؤكد لك آنسة ويلسون أن دافع السنيور پيريز الوحيد هو التأكد من أنك استلمت ميراثك كاملاً».

هزت أناليزا رأسها بعناد: «ما زلت لا أفهم. . فوالدي لم يعط والدتي يوماً بنساً واحداً».

جادلها المحامي بلطف: «بل أعطاها أكثر من بنس. كان يرسل المال لك ولأمك لئلا تقلق أبداً».

أصرت أناليزا: «لكن، لم يكن لدينا مال. فكيف يمكن هذا؟».

قال: «كله مكتوب هنا، انظري بنفسك».

وقدم لها الرسالة مضيفاً: «اختارت أمك ألا تلمس مال أبيك. ووفرته كله لك. . ».

* * *

لقد تغير الوضع كلياً. . هذا ما خطر لأناليزا فيما كانت الطائرة النفاثة تنطلق بسهولة من على المدرج. . فهي لم تعد صاحبة أملاك واسعة وحسب، بل أصبح لديها المال الكافي لإصلاحها. كان الأمر أشبه بالوقوف أمام حديقة

www.elromancia.com

تبدي القلق أيتها الشابة . . علمت أنك محامية تحوّلت إلى مزارعة».

ـ لعلي تسرّعت قليلاً . .

فقال: «هراء! هراء! ألا تعتقدين أنني سأقايض هذا المكتب القديم المغبرّ ببعض الهواء الطلق؟».

قالت أناليزا وعيناها ثابتتان على شهادته المعلقة على جدار: «يُقال الكثير عن المكاتب القديمة المغبرة».

لوّح بيده مصرّاً: «الشجاعة! الشجاعة آنسة ويلسون، والآن . . إنها هنا في مكان ما».

سألت بلهفة: «ماذا . . ماذا لديك؟».

توقّف عما كان يفعله، ومال برأسه جانباً: «أتعنين أن السنيور كريانزا پيريز لم يقل لك لماذا رتب هذه الزيارة؟».

ـ لم يقل لي شيئاً.

ولم تعترف بأنها لم تدع له فرصة.

قال المحامي: «آه . . تصورت . . لا يهم! لا يهم! أجل! ها هي!».

وسحب ملفاً رقيقاً من وسط الملفات، فسألت أناليزا بفضول: «ما هذا؟».

أداره مفكراً بين يديه: «هذا ملحق لوصية أمك آنسة ويلسون».

ـ لكن . . أما كان يجب أن يحتفظ به السيد پاترسون؟

ـ بصراحة، هذه وثيقة غير رسمية . . رسالة إذا شئت، تركتها لأحفظها.

ـ تركتها أمي؟

ـ هذا صحيح.

وتسارعت دقات قلبها، فسألته: «ألن نفتحها؟».

أخرج من الملف مغلفاً واحداً، وفتح الرسالة بترتيب. وما إن قرأ محتوى الرسالة حتى جمد وجهه . .

ـ آه . . أجل . . فهمت. كل شيء كما تصورت . . الأمر واضح تماماً.

سألت أناليزا وهي تتخوف من رده: «ما هو الواضح؟».

ابتسم . . وبالكاد ظهرت عيناه فوق خديه المنتفخين: «أنت وريثة آنسة ويلسون . . ولثروة كبيرة . . تماماً كما توقع السنيور پيريز . . ».

ـ أيعرف رامون بهذا؟

قال المحامي بحذر: «كان يشك في الأمر . . وأصر على وجود كنز ما. يجب أن أهنئه على بعد نظره وعلى إصراره على إيجادي . . فأنت لم تتركي عنواناً حين بعت المنزل في انكلترا . . أليس كذلك آنسة ويلسون؟».

وافقت ببطء: «هذا صحيح . . لم أفعل».

ووقفت مرتجفة وأضافت: «إذن لم يكن يحاول شرائي . . ».

صاح ميشيل ديلاني، وهو يضرب الطاولة وكأن ما سمعه أطرف شيء: «يشتريك؟ يشتريك! أؤكد لك آنسة ويلسون أن دافع السنيور پيريز الوحيد هو التأكد من أنك استلمت ميراثك كاملاً».

هزت أناليزا رأسها بعناد: «ما زلت لا أفهم . . فوالدي لم يعط والدتي يوماً بنساً واحداً».

جادلها المحامي بلطف: «بل أعطاها أكثر من بنس. كان يرسل المال لك ولأمك لئلا تقلق أبداً».

أصرت أناليزا: «لكن، لم يكن لدينا مال. فكيف يمكن هذا؟».

قال: «كله مكتوب هنا، انظري بنفسك».

وقدم لها الرسالة مضيفاً: «اختارت أمك ألا تلمس مال أبيك. ووفرته كله لك . . ».

* * *

لقد تغير الوضع كلياً . . هذا ما خطر لأناليزا فيما كانت الطائرة النفاثة تنطلق بسهولة من على المدرج . . فهي لم تعد صاحبة أملاك واسعة وحسب، بل أصبح لديها المال الكافي لإصلاحها. كان الأمر أشبه بالوقوف أمام حديقة

www.elromancia.com

سرية، وهي تحمل المفتاح بيدها. لكن ما زال لديها الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة... عن والديها، وعن رامون خاصة، فمن دونه كان ميشيل ديلاني يحتاج لسنوات ليقتفي أثرها.. وما كان ليجدها إلا بعد أن تتحوّل الفينكا إلى ذكرى بعيدة. هل كان يسعى إلى شراكة متساوية، إلى اندماج؟

وبدا لها هذا التفسير الأكثر منطقاً.. لكن التفسيرات المنطقية ليست كافية لردم الهوّة التي في قلبها.

* * *

بدت أشعة الشمس في الصباح الباكر، وكأنها أصابع دهنها طفل صغير على وجه البحر الهادىء. وفجأة، لم تستطع أناليزا الانتظار لتخرج من سيارة الأجرة.

مالت إلى الأمام وقالت: «أيمكن أن تنزلني هنا؟».

ـ هنا.. سنيوريتا؟

ـ المسافة لم تعد بعيدة إلى الفينكا.

وقبل أن تنزل طلبت منه أخذ متاعها إلى منزلها، وهي تعرف أن ماريا تيريزا ستكون موجودة هناك.

ودست مبلغاً يفوق الأجرة في يده وقالت: «سأمشي من هنا».

غابت السيارة بسرعة عن النظر في الدرب الترابي الوعر. لكن أناليزا لم تتحرك لتلحق بها. وقفت من دون حراك تتنشق بعمق الهواء العابق برائحة الأعشاب، ثم ظللت عينيها بيدها ونظرت إلى الحقول التي تمتد نحو التلال المغطاة بالصنوبر.

استدارت عند سماعها وقع حوافر، ووجدت صعوبة في تحديد مصدر الصوت، إلى أن رأت الجواد والفارس يقطعان الوادي نحوها. كان الجواد أسود، وذنبه الطويل مرفوع كأنه راية، وقد انحنى الفارس فوق ظهره. شهقت: «رامون!».

قفز الفارس فوق الجدار بجواده، ثم أداره بحدة، وشد اللجام ليقف الجواد شاخراً أمامها.

ـ أهلاً بعودتك أناليزا!

لكنها رأت في عينيه التحدي أكثر من الترحيب، كما لم ترَ أثراً للحرارة في وجهه. وأجبرت أناليزا نفسها على الوقوف بثبات فيما الجواد يحفر الأرض بحوافره. لكن، حين تراجع فجأة ورفع قائمتيه الأماميتين في الهواء، ارتدّت إلى الخلف مجفلة.

قال رامون بخشونة: «لا تقلقي.. فأنا أسيطر عليه».

قاومت لتبقى هادئة، وسألت: «كيف عرفت أنني سأكون هنا؟».

رد ساخراً: «تخمين محظوظ».

لكن الحظ الوحيد هو أنّ لرامون بيريز سلطة في الجزيرة، ويرغب الجميع في أن يعلمه بكل ما قد يثير اهتمامه. رفعت أناليزا حاجبيها لتظهر له عدم تصديقها.. فهو سيعرف لحظة تطأ قدمها تراب مايوركا.

ـ لقد سارت الأمور على ما يرام في انكلترا.

ـ أجل، شكراً لك..

نفض اللجام على عنق الجواد، واستقام كأنه لا يطيق الانتظار أكثر، وقال: «هذا جيد».

نظرت إلى يديه القويتين، وودّت لو تنسى ملمسهما، لكنها لن تستطيع النسيان أبداً. تفرّست في وجهه، فرأت فمه قاسياً وصارماً. وعيناه.. العينان اللتان تتذكرهما بشكل واضح.. عينان سوداوان حنونتان تحترقان رغبة فيها.. وجدتهما الآن قاسيتين متحجرتين وهما تردان على نظرتها.

قالت لمجرد الحديث: «سارت الأمور أفضل مما توقّعت بكثير».

أرادت بيأس أن تستبقيه هنا.

قال، وهو يتعارك مع جواده النافد الصبر: «يسرّني ذلك.. يجب أن نذهب.. لقد ضجر..».

وهل يعني هذا أنه ضجر أيضاً؟

وأخطأ في فهم تعابير وجهها فقال: «لا تخافي هكذا.. لن أدعه يؤذيك أبداً».

قالت كاذبة ببرود: «لست خائفة».

لكن الجواد المهيب هدأ بعد أن شدّ رامون بساقيه القويتين عليه، وبدا رامون بقميصه التقليدي المفتوح حتى الوسط، وحذائه العالي الساقين والمصنوع يدوياً، وكأنه غجري اسباني وليس ملكاً من ملوك المال العالميين. بينما بدت هي.. كسائحة أنهكها السفر!

قالت: «لقد أجفلتني وحسب».

قال ساخراً: «إذن «داردو» وأنا نعتذر».

وانحنى فوق عنق الجواد، فسألته: «داردو؟».

قال شارحاً: «الاسم يعني الرمح. واسمه في شهادة ميلاده هو الماسة السوداء».

ـ اسمه رائع.

وتساءلت أيهما أكثر أماناً.. النظر إلى الجواد أم إلى رامون.

ـ داردو هو أثمن جواد في مجموعة خيول الاستيلاد عندي.

ـ فهمت..

وأرخى اللجام للجواد العظيم ليدور في دائرة. كان رامون يركب الجواد من دون سرج. ويمسك بلجام ليسيطر على ما بدا لها جبلاً من العضلات المهتاجة والتي لا يمكن التنبؤ بما يمكن أن تفعل. ولو ظن للحظة..

قال يتحداها: «أخائفة أنت؟».

ردّت بحدة: «بالطبع لا.. لقد ركبت الخيول كثيراً و..».

ـ مثل سباحتك؟

نظرت إليه بحدة وقد عاودتها صورة مدرستها التي تعلمت فيها

الركوب.

ـ أليس لديك ما تقولينه؟

نظرت إليه ببرود: «بل لدي الكثير. لكن أولاً أود أن أكمل طريقي.. إذا كنت لا تمانع».

أكد لها: «لكنني أمانع، ألا تثقين بي أناليزا؟».

والتقت عيناها بعينيه السوداوين المتحديتين.. مهما كانت نواياه سيئة بالنسبة للأعمال، فهي ما كانت لتجد المال لولاه..

اقتربت خطوة، فنفخ الجواد من أنفه بقوة، ونظر إليها بجرأة بعينيه البنيتين الشرستين. وخطت خطوة أخرى، ثم توقفت حين رفع رأسه ليتنهد تنهيدة طويلة تشبه الأنين.

تنهد رامون ساخراً: «آه.. لقد أعجبته».

آه.. حقاً؟ وتشابكت عيناها مع عينيّ قاطع الطريق، القاسي القلب، على ظهر داردو.

وتمتم: «لكنه متململ، نافد الصبر.. مثلي تماماً!».

كانت الخطوة التالية آخر خطوة لها، وحين تقدم الجواد إلى الأمام، رفعها رامون عن الأرض وأجلسها أمامه بحركة واحدة سريعة.

صاح: «استرخي.. استرخي!».

صرخت أناليزا: «كيف يمكن أن أسترخي؟».

وتساءلت كيف حافظت على توازنها فوق الجواد وهو يقفز من فوق الجدار ويجري كالعاصفة عبر الحقل.

همس رامون في أذنها: «استندي إليّ.. لا تقاومي. ولفي يديك حول شعر عنقه، هكذا».

وشجّعها فيما وجّهت أصابعه القوية حركاتها.

وأخيراً، قال موافقاً: «هذا أفضل. الآن نستطيع الانطلاق أسرع!».

ـ لا!

www.elromancia.com

لكن بعد لحظات، أخذت تتوسل إليه كي يُسرع أكثر، ولم يشد اللجام إلا حين وصلا إلى القنطرة الحجرية التي تحدد مدخل الفينكا.

تنفست أناليزا بعمق: «كان هذا..».

وترنحت، لا تجد الكلمات المناسبة، فساعدها: «لذيذ كالحب تقريباً؟».

لو أحست بأي دفء في صوته، لتجاوبت معه.. لكنها بدلاً من ذلك ابتعدت عنه وهو يحاول إنزالها.

تمتم والجواد يدور في دائرة: «ألم تكتفي بعد؟».

لم يكن لديها أيّ خيار.. فهي تحت سيطرته الآن. وشدت قبضتها على عنق الجواد وهي تحاول سدى أن تبعد نفسها عن جسم رامون الدافىء.

قال آمراً: «استندي إليّ.. فسوف تؤذينه وأنت تميلين إلى الأمام.. أم أن هناك سبب يجعلك غير قادرة على الاستناد إليّ؟».

قالت باحتشام: «أنت لم تحلق ذقنك».

ضحكته المألوفة أثارت الكثير من الأحاسيس في داخلها.

قاومت لتبقى منيعة أمام رجولته، وقالت: «إلى أين تأخذني؟».

أشار من فوق السياج: «إنها بساتينك».

ونظرت أناليزا حولها بذهول. في الأسابيع القليلة الماضية، منذ عالج انريكو الاشجار، بدا أن معجزة قد حدثت، وتمتمت: «أنا لا أفهم».

كانت الأوراق الغضة الخضراء تكسو الأغصان، ونصف سكان القرية على ما يبدو يعملون في التنظيف والحفر والقص والرش.

وقال رامون: «هذا لأنك عشت طوال حياتك شمالاً، في الطقس البارد. هنا في مايوركا تتغيّر الأمور بشكل أسرع».

لم تجد تعليقاً آمناً على كلامه، فتابع: «وهكذا أناليزا، كان يجب أن تتحلي بإيمان أكبر. وكل ما يلزم هو أشعة شمس وسماء..».

تمتمت من بين أنفاسها: «كم هذا رامونسي».

قال بلطف: «ظننت أنك ستكونين راضية».

ـ ثمة شيء آخر غير السماء؟

ـ أشعة الشمس.

ـ و..؟

ونظرت إليه نظرة كهرمانية، لترى شفتيه الجميلتين مبتسمتين: «وكثير من الماء».

ـ من أين بالضبط؟

وحث الجواد ليستدير: «لماذا لا أريك المصدر؟».

وعلى بُعد بضع خطوات، رأت خنادق محفورة حول الشجر، وقال: «إلى أن نتمكّن من مدّ شبكة مناسبة تحت الأرض، علينا الاكتفاء بهذا الترتيب».

ـ نحن؟

ـ لا يمكن للماء أن يأتي إلا من مصدر واحد.

قالت ببرود: «منك».

ـ طبعاً.. أترغبين في رؤية ما تم انجازه وأنت غائبة؟

وشعرت بثورة في داخلها، لا يمكنه أن يتولّى إدارة ممتلكاتها في كل مرة تكون فيها غائبة.. لكن ماءه أنعش البساتين، وقالت: «بالطبع أنا مهتمة».

قفز إلى الأرض، وأمسك داردو بثبات وهو يمد يده ليساعدها على النزول.

ترددت لحظة، ثم انزلقت بين ذراعيه.. لكنها تراجعت بسرعة وهي تحاول التركيز على ما يقوله.

ـ مددنا شبكة ريّ من بئري إلى بستانك، لري الأشجار. وكلما زاد عدد القنوات المحفورة كلما زادت كمية المياه.

ـ وماذا سيكلفني هذا؟

ـ أنا واثق من أنك ستتمكنين من تلبية كافة طلباتي.

تمتمت: «أرجو أن تكون مصيباً».

والتفتت إلى الخزان الضخم الذي حلّ الآن مكان الخزان القديم.. إذا كان يسعى إلى وضع يده على الشاطىء مقابل ما فعله، فسوف يصاب بخيبة أمل كبيرة.

ـ سنيوريتا!

صاحت أناليزا بسرور: «أنريكو! لقد صنعت معجزة مع الأشجار!».

هزّ القروي العجوز كتفيه هزة معبّرة: «إبل بون سول بي اغوا!».

وترجم رامون لها: «الشمس الجيدة والماء».

ومع عودة انريكو إلى عمله، استدارت إلى رامون وقالت بصراحة: «كان لطفاً منك أن تمنحه كل هذه الثقة».

ـ أنا لطيف.. لو أعطيت نصف فرصة.

وحين التقت عيونهما تعاظمت أحاسيسها إلى حدّ لم يعد المنطق معه قادراً على فرض الحذر عليها.

ـ أهلاً بعودتك سنيوريتا!

وخرجت أناليزا من نشوتها، واستدارت لترى ماريا تيريزا مسرعة عبر الفناء وهي تحمل سلة في ذراعها.

قالت ماريا تيريزا: «لقد أطعمت فودج، فلا تدعيه يخدعك.. سأراك غداً».

ـ وداعاً ماريا تيريزا.. وشكراً لك.

تمتم رامون وهو يربت على عنق الجواد: «وكسب داردو بعض الراحة أيضاً».

ـ لماذا لا تطلقه في الحقل؟

ـ حسن جداً.. سأمسح عرقه.. وأجد له شربة ماء.

ـ أترغب أنت في شيء تشربه؟

حسن جداً.. إنها دعوة من باب الأدب.

توقف ينظر إليها. وفجأة، بدت المسافة الصغيرة التي تفصلهما وكأنها جزء منهما معاً.

قال وهو لا يزال يأسر نظرتها: «سيكون هذا جيداً».

راقبته وهو يقود داردو عبر الفناء، وأحست بذاك التكاسل المألوف والحلو كالعسل يتسلل إلى أطرافها.

لكن التكاسل اختفى لحظة فتحت الباب، ورمى فودج نفسه بين ساقيها بصيحة ابتهاج. لكنه ما لبث أن اغتنم الفرصة ليمر بها ويركض نحو البساتين.

ـ إذن.. أناليزا..

ارتفعت يدها إلى عنقها مع دخول رامون إلى المنزل وهو يحني رأسه، ليتجنب الأعشاب المطيّبة التي علقتها ماريا تيريزا فوق الباب.

قال بصوت ناعم: «أنا آسف.. لم أقصد أن أجفلك».

قالت كاذبة: «أنا أتوتر دوماً بعد الرحلات الطويلة».

تقدم إلى الموقد، واقترح: «قهوة؟».

ـ تصرف وكأنك في بيتك.

ومد يده إلى علبة البن على الرف.

تسمّرت عيناها على حركته السهلة.. إنه رجل عصري، غير متمسك بالتقاليد.. ومعظم النساء سيسيل لعابهن.. حسناً.. لقد سال لعابها.

قال مقترحاً من دون أن يستدير: «يمكنك مساعدتي إذا أحببت».

حاولت الضغط على قلبها كي يبطىء من سرعته وقالت: «يبدو أنك تسيطر على الوضع».

وضع الماء على النار وقال بإصرار: «تعالي إلى هنا».

لن يضرها أن تحضّر فنجانين، لكن ما إن أصبحت قربه حتى أمسكها من خصرها وأجلسها على الطاولة. كانت لا تزال مصدومة حين اقترب منها أكثر. وسمعته يضحك ضحكة رضى من أعماق صدره. رامون رجل بكل

www.elromancia.com

ما في الكلمة من معنى.

قال: «اشتقت إليّ».

وكان هذا تصريحاً وليس سؤالاً، وشدها بين ذراعيه فتأوهت مع تدفق المشاعر في جسمها. كانت رائحته تلتف حولها، وسمعت نفسها تتأوه مجدداً.

قال بعناد وهي تتعلق به: «هذا لا يكفي بالنسبة إليّ كواريدا».

وأنزلها، ليقفا متعانقين بتواصل صامت.

رفعت ذقنها لتتكلم، لكنه قاطع كلامها بعناق حنون وطويل.

كانت ماريا تيريزا قد وضعت باقة من الأزهار الريفية على رف المدفأة الحجرية القديمة، فعطرت رائحتها الجو. وكانت النوافذ مفتوحة قليلاً بحيث تسلل نور الشمس لينير المنزل.

ابتعد عنها بعد قليل فحدّقت إليه محتارة.

ـ هل أنت على ما يرام؟

وعندما لم تجبه قال مجدداً: «لم تجيبي على سؤالي. وتعرفين ما معنى هذا».

ـ وما معناه؟

ـ سأجبرك على أن تقولي لي ما الذي يزعجك.

ـ لا شيء..

حذّرها بنعومة: «لقد رأيت شيئاً على وجهك الآن. ثمة خطب ما.. ويجب أن تقولي لي ما هو».

ـ وكيف أفعل وأنا لا أعرف؟

ـ أتفكرين في والدك؟

قالت بلطف: «كان يعني لك الكثير».

وأحست بالارتياح لأنهما يركّزان على موضوع أكثر أماناً من المشاعر التي عجزت عن كبحها أو اخفائها.

ورأى الحزن في عينيها، فقال موبخاً: «ما عليك إلا أن تسألي».

ـ أخطأت في حكمي عليه إذ كان يرسل المال لأمي طوال تلك السنوات..

ـ لا تعاقبي نفسك.. ما كنت لتعرفي.

ـ لم تصرف أمي قرشاً واحداً من ماله.. وترك لي الفينكا..

وارتجف صوتها حين عادت للكلام: «لا أستطيع أن أصدق أنني لم أكن أثق به..».

قال رامون: «الثقة يلزمها الوقت أناليزا، وأنت لم تعرفي والدك. كانت والدتك محطمة القلب بحيث لم تشرح لك. لكنني سأبرهن لك أن الثقة ممكنة.. مهما طال الوقت لتحقيقها».

ـ لكن..

سألها: «ماذا يجب أن أفعل لأبقيك ساكنة؟».

ومن دون أن ينتظر الرد، ضمها بين ذراعيه وعانقها بشغف.

* * *

www.elromancia.com

٩ ـ صورة وذكرى

سأل رامون: «أتمانعين لو تجوّلت في المنزل لأرى ما فعلته من تغييرات؟».

قالت أناليزا: «بالطبع لا..».

وحين عاد من جولته سألها: «لماذا لا تستخدمين غرفة النوم الرئيسية؟».

لا داعي لأن يعرف أنها ما إن أدركت أنها غرفة أبيها، حتى أقفلت الباب ولم تفتحه مرة أخرى.

ـ من دون سبب.. فضّلت المنظر من الغرفة الأخرى.. إنها أصغر حجماً.. وتدفئتها أكثر سهولة في الشتاء.

عبس وقال: «أنت لست في انكلترا. وحين تصل الليالي الحارة، سترتاحين أكثر في غرفة أوسع».

وحين جلس إلى جانبها، قال: «انظري إلى هذا».

أخذت الصورة الفوتوغرافية العتيقة منه فيما بدأ قلبها يضج.

ـ أين وجدتها؟

ـ في غرفة النوم الرئيسية. ألن تنظري إليها؟

أمسكت الصورة المجعدة بقوة، وكأن اللمس هو كل ما يلزم لتبيّن الوجوه المطبوعة على الصورة المهترئة.

ـ يدهشني أنك لم تريها من قبل. كانت موضوعة على الخزانة القديمة.

وكأن شخصاً ما أراد أن تجدها..

ـ كنت مشغولة جداً.. ولم يكن لدي وقت للتفتيش..

قال: «لا داعي للتفسير، أتعرفين لمن هي؟».

بالطبع تعرف. وانخفضت يداها إلى حجرها، وهما لا تزالان ممسكتين بالصورة.. فالفتاة الضاحكة هي أمها. أما الرجل الذي يلف ذراعه حولها ويبتسم لعينيها، فهو.. وأطلقت صيحة صغيرة، وردت الصورة إلى رامون.

ـ لا أريد رؤيتها.. أبعدها عني.

قال رامون بلطف: «لكن هذا والدك.. كنت آمل أن أجد شيئاً كهذا.. لأثبت لك..».

وتنهد بثقل حين رأى وجهها مظلماً.

ـ انظري أناليزا.. يمكنك أن تري بنفسك كم كانا يحبان بعضهما.

صاحت: «لا أحتاج لأن أرى برهاناً على شعوره نحو أمي، فقد عشت مع نتائج هذا الحب كل يوم».

وشعرت بأنها مشوّشة. لو أنّ والدها أحب والدتها كثيراً، فماذا حصل؟

ـ سأبقى ممتنة للمال.. وللفينكا.. لكنني لا أستطيع نسيان ما مرت به أمي.. الفقر والمرارة..

أصر رامون بشراسة: «توقفي عن هذا أناليزا. لن أدعك تفعلين هذا بنفسك».

ـ ولماذا لا؟ ألأنه صحيح؟ لأنه سيناسبك كثيراً أن أسلك الدرب ذاته كأمي؟

وساد صمت مطبق.. وتحوّلت عيناه إلى حجرين أسودين.

www.elromancia.com

ـ ظننت أننا تجاوزنا هذا.

رفعت ذراعيها في الهواء بإشارة يأس وإحباط وغضب: «ماذا؟».

ـ أعني مرحلة إهانتي بالإشارة إلى أنه لا يمكن الوثوق بي.

وابتعد عنها ببرود فردّت: «أنا لا أشير إلى شيء.. بل أقول الحقائق كما أراها».

ـ هذه هي المشكلة أناليزا، الوقائع كما ترينها لا صلة لها بالحقيقة.

ـ إذن، ما هي الحقيقة؟ امرأة تخلى عنها نبيل اسباني ودفع لها تعويضاً سخياً؟ كيف ستوضح لي هذا رامون؟

ـ الحياة ليست كما تظنينها.. أخرجي رأسك من الكتب أناليزا، وانظري حولك إلى الحياة الحقيقية، والناس الحقيقيين، والمشاكل الحقيقية.. اذكري لي وضعاً مستقيماً واحداً، من وجهة نظرك.

ـ وماذا عن «وضعنا».

وشددت على الكلمة لتبرز غموض علاقتهما، وأكملت: «كيف تصفه لي؟».

ـ ماذا تعنين؟

ـ ماذا لو رحلت وتركتني؟

وجمد رامون.. ثم ارتفعت يداه لتمسكا برأسه، لكنه عاد وأنزلهما ببطء في إشارة غاضبة مستنكرة.

وقال محذراً: «توقفي عن هذا الكلام أناليزا. ظننت أن بيننا تفاهماً أفضل من هذا..».

استهجانها أسكته: «تفاهم؟ هل هذا ما بيننا؟».

قال بإصرار وغضب: «أنت تعرفين ما أعني.. وتعرفين شعوري..».

وقفت أناليزا بحدة: «أوه.. وهل أعرف حقاً؟ وكيف لي أن أعرف بالضبط؟».

ـ ألم أبرهن عن مشاعري نحوك بكل ما فعلته؟

أحست بضيق في صدرها، مع رفض أشباح الماضي أن تتركها لترى أبعد من إمكانية تعرّضها للخطر: «وكيف لي أن أعرف.. أنت لم تذكر الحب مرة واحدة».

بدا مصدوماً للحظة ثم سألها: «أتريدين قصيدة غزل كل يوم؟».

بدأت ترد بغضب: «أريد..».

ثم صمتت، وأسرعت راكضة إلى غرفتها وهي تصيح: «لا أعرف ما أريد!».

وسمعته يصيح خلفها: «هذا صحيح.. اهربي».

وتوقفت عند الباب واستندت إلى الجدار: «لن أهرب إلى أي مكان رامون، أنا هنا لأبقى».

حين خرجت من الحمام بعد بعض الوقت، وجدت غرفة الجلوس خالية، فوقفت مترددة في وسطها، وانتظرت مصغية. أحست ببعض توترها يخفّ حين سمعت رامون يتحرك في المطبخ، لكن هذا التوتر عاودها حين خطر لها كم تحبه.. صحيح أنها مدينة له بالكثير، لكن هذا لا يعني أنّ عليها تطبيق وجهات نظره على الماضي أو أن تقبل بدور ثانوي في حياته.

كان رامون يجلس في أحد المقاعد المريحة، ممسكاً بفنجان كبير من القهوة في يده، وساقاه الطويلتان ممدودتان أمامه وقدماه الحافيتان مستريحتان على ظهر «فودج». رفع نظره إليها فرأت تعبير وجهه متصلباً مثلها تماماً.

وأدركت أناليزا أن الأمر لن يكون سهلاً.. فكلاهما قوي.. وكلاهما مقتنع بأنه محق.

قالت: «أتريد تناول الغداء؟».

ـ القهوة تكفي، يجب أن أعود إلى منزلي.

حاولت ألا تبدي أيّ اهتمام، فقالت: «طبعاً».

ـ لماذا لا تأتين معي؟

وتمكّنت من إخفاء صدمتها، كما وقفت الدعوة العفوية في وجه

www.elromancia.com

شكوكها كلها. إذا كانت هذه لعبة شطرنج، فهي في خطر. قالت: «حسناً.. ولِمَ لا؟».

نظر إلى ساعته: «أتكفيك عشر دقائق؟ لقد أرسلت في طلب السيارة».

ـ عظيم.

ـ سيأتي أحدهم ليأخذ الجواد.

ـ وهل ثيابي هذه مناسبة؟

ـ أجل.

ـ هل أحتاج إلى شيء؟

وقف ليضع فنجانه في المغسلة، وقال: «وحدك تستطيعين الرد على هذا السؤال أناليزا».

تباعده كان أشبه بالتوبيخ.. هل هذا عقاب لها لأنها تخطّت الحدود.. لأنها طالبته بالكثير؟ وأحست بمشاعرها تتغيّر مع تراكم الإحباط والغضب في نفسها..

هذه الزيارة لمنزل رامون كانت تختلف كثيراً عن أول زيارة، إذ انحنى لها رودريغز وهو يفتح الباب.

قال رامون وهما يقفان جنباً إلى جنب في الردهة: «يجب أن أجري بعض المكالمات الهاتفية.. فألقي نظرة من حولك فيما أنت تنتظرين».

ـ هل أنت واثق..؟

ـ عليّ إدارة الأملاك. لن أتأخر سوى دقائق، فتصرفي وكأنك في بيتك.

واستدار إلى رودريغز: «أرجوك.. أوصل السنيوريتا ويلسون إلى المكتبة».

ثم التفت إليها مجدداً: «ستجدين بعض المؤلفات القديمة المثيرة للاهتمام... أراك بعد دقائق».

ولحقت برودريغز إلى غرفة فخمة وواسعة تطل على البحر، إنما لم تكن

تبدو كمكتبة.. قال رودريغز شارحاً: «جهاز التكييف لا يعمل في المكتبة يا سنيوريتا ويلسون، لكنك سترتاحين هنا. اقرعي الجرس إذا احتجت إلى أي شيء».

وأشار إلى حبل مخملي، عاجي اللون في إحدى زوايا الغرفة.

تلفتت من حولها.. أين تبدأ؟ إنها فرصة عظيمة.. إغراء مرخّص.. فرصة لاكتشاف ما يمكن للمنزل أن يكشفه عن رامون.

الجودة والراحة، إنما من دون فوضى.. أرضية من الرخام مكسوة بسجاد باهظ الثمن، تتراوح ألوانه بين الوردي والخوخي ولون الصدأ. وتابعت تفحّصها في جهة أخرى.

نوافذ واسعة ذات مصاريع خشبية شاحبة اللون، وزهريتان صينيتان عملاقتان على جانبي مدفأة ضخمة.. أريكة بلون العاج تغطيها وسائد حريرية بلون الجواهر.. فتنة غريبة على طراز رامون. وابتسمت ابتسامة خفيفة... وبعد أن خطر لها أن الغرفة تفتقر إلى لمسة شخصية، لمحت مجموعة من الصور الموضوعة في أطر من الفضّة مرتبة فوق طاولة من خشب الورد.

رأت صوراً لرامون مع رجل آخر، خمّنت أنه شقيقه. بدا لويس وسيماً مثل رامون إنما أصغر منه سناً. وفيما كان شعر رامون أسود قاتماً، بدا شعر لويس بنياً وقد لوّحته الشمس. وألقت نظرة أخرى على الصور.. فلاحظت أن عينيه ثاقبتان أيضاً، إنما خضراوان. لا عجب أن تكون مارغريتا مولعة به.. فهو فاتن. وبدا سعيدين جداً في صور عرسهما.

ورأت أيضاً صوراً لمارغريتا وأوريليا، إضافة إلى صور عائلية أخرى. وخلف هذه المجموعة من الصور، وجدت مجموعة قديمة. افترضت أناليزا أن هذه الصور تعود لأسلاف عائلة كريانزا بيريز. وكانت على وشك تفحّصها حين دخل رامون الغرفة.

ـ ماذا تفعلين هنا؟

وفي لمح البصر كان يقف إلى جوارها.

بدأت تقول: «أنا آسفة».

لكنه لوّح بيده بنفاد صبر وأبعدها عن الطاولة ثم قال: «لقد أخذت المكالمات وقتاً أطول مما توقعت».

ـ لا بأس.. كنت أنظر إلى صورك.

ـ صوري؟

ـ أنت وأخوك ومارغريتا وأوريليا.. إنها صور جميلة.

ـ لماذا لم تذهبي إلى المكتبة كما اقترحت؟

ـ قال رودريغز إن جهاز التكييف لا يعمل هناك.

وتساءلت عن سبب تفوّهه بهذا السيل من الكلام غير المفهوم بالاسبانية.

قال رامون: «هناك أمر يجب أن تعرفيه».

وأخافها تعبير وجهه: «الآن؟».

قادها إلى شرفة تطل على البحر، فتمتمت: «هذا جميل جداً».

ابتعدت عنه، لتريح يديها على السياج الحجري البارد. وأحست أنها لن تشبع من النظر بسعادة إلى هذا الجمال الذي لا يعرف زمناً.. وودّت أن تطيل لحظة التنعم هذه إلى ما لا نهاية! وأحست غريزياً أن ما سيقوله رامون، لن يعجبها، مهما كان.

تقدم ليقف إلى جانبها: «بالنسبة للصور.. كان يجب أن أكون معك..».

وصمت ثم مرر يده على جبينه.

أهو غاضب منها، أم من أجلها؟ لم تستطع أن تعرف.

تراجعت عن الحافة: «أمهم هذا حقاً؟ إنها مجرد صور».

ـ إنها مهمة.. ومهمة جداً.

سألت بصوت منخفض: «لماذا؟».

ـ عليك أن تفهمي أولاً أنني أستخدم هذا المنزل بشكل مؤقت.. وهو ليس بيتي، ستجدين بضع لمسات شخصية هنا.. عدا عن الصور.

ـ لاحظت هذا..

وضع يده على ذراعها يحثها على سماعه: «أنا جدّي أناليزا، وأريدك أن تصدقيني حين أقول لك إني لم أنظر إلى تلك الصور أو حتى أفكر فيها منذ سنوات.. إلى أن التقيتك».

سألت بقلق: «والآن؟».

وضع يده على ظهرها يقودها على مضض إلى الأمام: «سأريك».

وعادا إلى الداخل، وقادها رامون إلى الطاولة. ولم يشأ إطالة هذه المحنة بمقدمات لا معنى لها فأخذ إحدى الصور وأعطاها إياها.

سألت: «من هذا؟».

لكنها في أعماق قلبها كانت تعرف الرد.. فالصورة الفوتوغرافية بالأبيض والأسود تُظهر ثلاثة أشخاص.. دون بيدرو فويغو مونتويا في الوسط وامرأتان جميلتان إلى جانبيه، وكانت كلوديا إحداهما، وأمها الأخرى. وأحست أناليزا بغموض أن ذراع رامون أحاطت بكتفيها، فاستدارت لتواجهه وسألت: «ما معنى هذا؟».

انتزع الصورة من يدها وأعادها إلى مكانها: «كانت والدتك موظفة عند والد كلوديا».

عبست، وهزت رأسها وكأنما تحاول أن تفلت الذكريات المحتجزة داخله.

ـ كنت أعلم أنّ أمي عملت هنا وأعرف أن هذا سبب لقائها بأبي.. لكنني لم أعرف التفاصيل أبداً.

ـ سأخبرك بكل ما أعرفه.

وضعت يدها على ذراعه: «أرجوك».

ـ كان والد كلوديا محترماً جداً في الجزيرة، وهو يتحدر من عائلة ثرية

قديمة. كان أرمل، يربي ابنته وحده.. ويليي كل نزواتها. لكن نمط الحياة الارستقراطية يكلف الكثير من المال.

ـ وأفلس؟

ـ أجل.. لكن هذا لم يمنعه من صرف المال على كلوديا.. على تعليمها وملابسها..

ـ ووالدتي؟

ـ التقت كلوديا بوالدتك في المدرسة في انكلترا.

ـ كان جدي أستاذاً.

ـ أصبحت أمك وكلوديا صديقتين. وجاءت أمك إلى الجزيرة كرفيقة مدفوعة الأجر لكلوديا.

قالت أناليزا بدهشة وهي تنظر إلى الصورة مجدداً: «رفيقة؟ لم تأتِ أمي على ذكر كلوديا ولو مرة واحدة».

تمتم رامون بجفاء: «هذا لا يدهشني. كانتا تقضيان العطلات معاً هنا..».

تمتمت أناليزا: «أستطيع فهم السبب».

وتذكّرت جدّها المحبوب إنما المتسلط.

ـ ما إن بدأت كلوديا تدرك ورطة والدها المالية حتى بدأت تتطلع حولها لتجد الحل.. شخص يستطيع إنقاذها.

ـ ودون پيدرو..

أكّد رامون لها: «كان ثرياً بما يكفي.. لكن دون پيدرو كان واقعاً في حب أمك».

مررت أناليزا يدها على جبهتها فقال رامون بلطف: «أنا آسف.. ليتني لم أضطر لإخبارك».

رفعت أناليزا ذقنها وردّت: «أنا مسرورة لأن أحداً ما أخبرني الحقيقة أخيراً. شكراً لك».

نظر رامون إليها للحظات وسألها: «هل أنت واثقة؟».

أضافت بصوت منخفض: «ويسرّني أن تكون أنت من أخبرني».

قال: «وأنا مسرور أيضاً».

كانت فعلاً مسرورة.. فقد أجبرها رامون على مواجهة الماضي بدلاً من العيش في ظله.. وستبقى ممتنة له دائماً.

ـ هل تودّين رؤية ما تبقّى من المنزل؟

ابتسمت موافقة، فجولة غير شخصية ستوفر لها الوقت لتتكيف مع ما عرفته. قال: «يهمني جداً أن أعرف رأيك».

وقادها إلى خارج الغرفة، مكملاً: «لأني أخطط لجعل هذا المنزل مركزاً لتطوير أعمالي».

ـ أتعني أنك لن تعيش هنا بعد الآن؟

قال: «هذا صحيح.. فحين تنتقل مارغريتا ولويس إلى منزلهما الخاص، سيصبح هذا المنزل كبيراً جداً عليّ».

ـ لذا ستحوّله إلى فندق؟

أكد لها: «ويقتصر على فئة معينة... عشرون غرفة نوم كبداية. كلها أجنحة.. مع كل النشاطات الرياضية التي تتصورينها».

ـ بما في ذلك الميناء؟

هزّ رأسه بموافقة قلقة.

ـ وأين ستعيش؟

ـ أفكر في بعض الأملاك في الريف.

ـ بعض؟

ـ ملكية واحدة بشكل خاص.

التحدّي في عينيه قابله الفهم في عينيها: «الفينكا ليست للبيع».

ـ وهل قلت إني أريد شراءها؟

ـ وهل رأيت مكاناً مشابهاً؟

www.elromancia.com

ـ بعد أن رأيت ما فعلته في الفينكا، يجب أن أعترف أنني انجذبت إلى هذا الطراز من الأملاك.

ـ تراجع إلى ملاذ ريفي؟

صحح لها بهدوء: «بل إلى بيت. ليس لديك فكرة كم أحسدك».

هل هو جاد؟

ـ أستطيع أن أساعدك حين تجد مكاناً مناسباً.

ـ وهل ستفعلين هذا من أجلي؟

ـ سيسعدني أن أقوم بهذا من أجلك.

تملكها شعور بأنها تسمع كل كلامه ولا تعلم شيئاً عن نواياه الحقيقية.. لكن حماستها غلبتها: «استمتعت فعلاً بالعمل في الفينكا.. وأحب أن تتاح لي الفرصة لأفعل شيئاً مماثلاً مرة أخرى».

ـ كنت آمل أن تلعبي دوراً فعّالاً في تصميم منشآت فندقي وتطويرها.

قالت مندهشة: «أتعرض علي عملاً؟».

ـ ولِمَ لا؟ لن تتمكني من ممارسة المحاماة هنا في مايوركا. وما إن تعود الفينكا إلى العمل بكامل طاقتها، حتى تبدأي بالبحث عن تحدٍ جديد.

بدا لها أن رضاه عن عملها في الفينكا حقيقي وصادق. وضجّ رأسها بالأفكار.. لكنه يعرض عليها عملاً فقط. ذكّرت أناليزا نفسها بهذا.. وهو بالكاد يكون عرضاً تحلم به.. مع ذلك بدا لها أنه يناسبها جيداً.. وأكدت له متصلبة: «سأحب هذا».

* * *

في اليوم التالي، شعرت أناليزا كأن الأرض تموج بها.

وهرولت ماريا تيريزا عبر الفناء تنادي: «سنيوريتا ويلسون.. هل أنت بخير؟».

قالت بضعف: «بخير.. أنا بخير».

وابتعدت عن البوابة، لتترنح مرة أخرى إلى الوراء.

قالت ماريا تيريزا بإصرار: «دعيني أعيدك إلى المنزل. أنت تحتاجين إلى الراحة، لا بدّ أنّ الشمس القوية ضربتك فأنت لم تعتادي على حدّتها في بلادك. هل أتصل بالسنيور بيريز؟».

ـ لا.. يجب ألا تخبريه.

ـ لكن سنيوريتا ويلسون، يجب أن تخبريه.

يجب أن تخبر رامون بنفسها، فلا بدّ أنّ خبر وعكتها سيصله مضخّماً.

بدا وكأن الخادم رودريغز يتوقع زيارتها إذ وقف ينتظرها عند الباب المفتوح.

ولم تستطع أن تصدق هدوء صوتها وهي تنادي: «صباح الخير رودريغز.. هل السنيور بيريز في المنزل؟».

ـ إنه في المكتب في ماهون سنيوريتا.. لكنني أعتقد أنه لن يتأخر، أترغبين في الانتظار؟

ـ شكراً لك.. سأنتظر.

وتجاوزته نحو الردهة.

ـ هل أحضر لك القهوة سنيوريتا؟

ـ شكراً لك رودريغز.

تنهدت أناليزا ارتياحاً مع اختفاء وقع قدميه، وتوجّهت إلى الصور مصممة على مواجهة الماضي.

ـ أناليزا!

لم يدخل رامون إلى الغرفة، بل اقتحمها بقوة.

سأل وهو ينظر إليها باهتمام: «هل اعتنى بك رودريغز؟».

ـ جيداً جداً.. هل أطلب لك قهوة طازجة؟

رمى سترته على كرسي، وجلس على الأريكة: «ماذا جاء بك إلى هنا؟».

اتفقا على أن يلتقيا على العشاء لمناقشة لقائها مع فريق عمله، لذا لا عجب في أنه دُهش لرؤيتها.

ـ يجب أن أتكلم معك.

ربت على الأريكة: «إذن، تعالي وأخبريني بما يشغل بالك».

وتقدّم نحوها: «سأخبرك، إذا أعطيتني الفرصة».

مرر يده القوية في شعره وهو ينظر إليها بقلق: «حسناً.. حسناً».

ـ أنا أعاني من دوار لا أعرف سببه.. وأفكر في أن أعود إلى انكلترا لإجراء الفحوصات ورؤية الطبيب. رأيت من الأفضل أن أخبرك بنفسي قبل أن يصلك الخبر مضخّماً.

وجمدت حين حدّق إليها من دون أن يتكلم، ثم كررت كلامها. هز رأسه وقال: «سمعتك أول مرة».

قالت: «لا تقلق.. فهذا لن يغير شيئاً. سأعود سريعاً للعمل معك في مشروعك».

أمسك رامون ذراعيها بقسوة، وسألها: «هل أنت واثقة؟».

ورفع ذقنها بيد لإجبارها على النظر إلى عينيه: «المسألة ليست خطيرة.. أليس كذلك أناليزا؟».

ولم تكن قد رأت مثل هذه المشاعر في عينيه من قبل.. مثل هذا الحنان، وهذه النظرة الحميمة، والدفء.

ـ حسن جداً.. أنا خائفة.. ربما الأمر لا يتعدّى كونه ضربة شمس.. أو لعلي أجهدت نفسي في العمل مؤخراً... حسناً، أعرف أنني أستطيع تدبر أمري.. لكني أخاف أن أترك الفينكا...

عقد حاجبيه معاً: «تتدبرين أمرك؟».

ـ نعم، بنفسي.

بدا مذهولاً لبضع لحظات.. ثم قال بصوت منخفض متوتر: «أهذا ما تريدينه أناليزا؟».

هزّت رأسها وقد زاد تشوّشها: «كل ما أعرفه أني سأسافر لأجري بعض الفحوصات وأرى سبب وعكتي، وسأترك الفينكا وحدها من دون إدارة، ولا أستطيع أن أحمّلك هذا العبء. سأتدبر أمري كما كنت أفعل في الماضي..».

شتيمته الحارة قاطعتها، وتركزت نظرته على وجهها بينما أمسكت أصابعه بذقنها وأجبرتها على أن تستدير لتنظر إليه.

ـ دعي الماضي يذهب قبل أن يدمر حياتك!

ـ كيف يمكن هذا؟

ـ تذكّري الماضي.. لكن تعلّمي منه، وابني عليه..

ـ ماذا؟ هل أستخدمه لزيادة مهاراتي؟

وصمتت..

فقال بإصرار: «أنت أمل المستقبل، فأنتِ لم تؤسسي بيتاً لنفسك، ولكل حيوان شارد في المنطقة، بل أمّنت عشرات الوظائف للقرويين، وأعطيت الشباب أملاً».

تلوى وجهها ألماً لأنه قال كل شيء ما عدا الكلمات التي تحتاج لسماعها.

ـ أنا لا أرى ما دخل هذا بـ..

أمسك ذراعها، وشدها ليصبح وجهه قريباً جداً من وجهها، وقال بقسوة: «لا تقللي من أهمية تأثير الماضي عليك. لديك الشجاعة والحنان، وأنت لا تخافين العمل الشاق... والكل يحتاجك هنا ويمكنك الاعتماد على الجميع. فلمَ هذا الاصرار على تدبّر أمورك وحدك؟».

أحست بحرارة كلماته تصدم مشاعرها فصرخت: «كفى!».

لكنه لم يتركها تستدير: «لا تهربي من مشاعرك أناليزا».

وكان صوته بليغاً.. مليئاً بالحاجة..

www.elromancia.com

وفي تلك اللحظة، خطر لأناليزا أنه لو طلب منها تدمير الفينكا ثم إعادة بنائها حجراً حجراً، لوجدت ذلك أسهل من مواجهة المشاعر التي ارتسمت على وجهه.

قال بلطف: «لا تدعي الماضي يسرق منك فرصة المستقبل».

لكن، ما الدور الذي سيلعبه رامون في مستقبلها؟ لقد تكلم عن كل شيء.. تكلّم عن حاجة الكل إليها ولكنه لم يتكلم عن نفسه... ازدادت نظرة أناليزا حدّة وهي تصغي إليه.. فإن كانت ستبني على أساس الماضي، وتنطلق إلى الأمام كما يقترح، فستحتاج إلى تسليح نفسها بالوقائع، وليس بالمشاعر.

ـ لا تقلق، أنوي ترك الفينكا لأولادي من بعدي.. ولهذا لا أنوي السماح بتحويل شاطئي الجميل إلى جزء من أي فندق.

وأرخى قبضته وهو يتراجع: «أستطيع فهم هذا».

ـ إذن..؟

ـ سنتوصل إلى اتفاق.

ـ والماء؟

ظهر نفاد صبره بوضوح في هزة كتفيه: «سيكون جزءاً من الاتفاق.. هل يجب أن نتحدث في العمل..».

قاطعته ببرود: «علي التفكير في المستقبل والأمان».

ذكرها بهدوء: «سيكون هذا همنا معاً».

وحين ارتفع ذقنها بحدة أضاف متجهماً: «لا تخنقي مشاعرك أناليزا.. وإذا احتجت إلى أي شيء.. أي شيء على الإطلاق..».

ـ ألا زلت أحتفظ بتلك الوظيفة؟

نظر إليها متسلياً وهو يهز رأسه بالموافقة: «بالطبع.. وللمدة التي تريدينها».

ابتسمت له ابتسامة خفيفة وهي تخرج من الغرفة. مُقدّر لها أن تبقى

معه، لكن في الدور الخاطىء.. لقد جادلت لتتهرب من كل ما تريده، وأبدلته بثمن فارغ.

***

www.elromancia.com

١٠ ـ أغلى من الألماس

حدقت أناليزا إلى الهاتف كأنها تتهمه، فمنذ تركت منزل رامون في اليوم السابق، اتصل بها أربع مرات لمناقشة نقاط في الاتفاق الذي يحضره محاموه. كان على استعداد لأن يسمح لها باستخدام مياهه مقابل أجر زهيد إذا ما أعادت التفكير في موقفها من الخط الساحلي. ولم تبدُ قطعة الشاطىء الصغيرة، البعيدة عن نظرها، وعن موقعها المفضل، ثمناً باهظاً تدفعه لنجاح الفينكا. . لكنه لم يقترح أبداً أن يجتمع بها لمناقشة المسألة.

وفيما توقفت يدها فوق السماعة، أحست بأنّ عينيها اغرورقتا بالدموع، فمسحتهما بنفاد صبر. . فحتى نجاة الفينكا يعتمد على تعاونه ولن تستطيع تدبّر أمورها وحدها. على أيّ حال، لقد صرفت النظر عن مسألة السفر، وستركز اهتمامها على الفينكا، لا سيّما وأنّ حالتها تحسّنت. لا بدّ أن ما عانته ليس سوى ضربة شمس، لم يبقَ من ذيولها سوى القليل بعد ليلة نوم شافية، وبعد شراب ماريا تيريزا الذي حقق المعجزات.

وكالعادة، انقطع خط الاتصال وهي تلتقط سماعة الهاتف. وراحت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وهي تجبر نفسها على التركيز على موضوع الفندق. فعدا عن كل الغرف، سيحتاجون إلى جناح عائلي، وجناح للمالك. . وجناح عرائس. وشدّت قبضتيها، وتوقفت ثم تقدمت لتنظر إلى الخارج فرأت سيارة سوداء لا يمكن أن تخطئها تدخل إلى الفناء. وفجأة انتفضت

وركضت في المكان تتفحص هذا وتسوي ذاك. توقفت لتأخذ فرشاة من حقيبتها، وتمررها في شعرها، لكن قبل أن تنتهي انفتح الباب ودخل رامون.

تقدم إلى داخل الغرفة يسأل: «هل أنت بخير؟».

وجفت حنجرتها وهي تشعر بالتوتر: «بالطبع أنا بخير».

ـ لم تردي على الهاتف.

ـ كنت المتصل؟

ـ طبعاً.

ـ هل جئت لتتفحص الشاطىء؟ أم الماء؟

نظر إليها وقال: «أحياناً، أشعر حقاً باليأس».

ـ لماذا؟ أنا. .

وتحرّكت يداه بسرعة كأنه يريد أن يمسكها ويهزها، لكنه لجم نفسه في منتصف الطريق، وتمتم: «دعينا نخرج من هنا».

وكانت لمسته لطيفة وهو يقودها نحو الباب.

قالت أناليزا وهما يتفاديان عربتي يد مليئتين بالأعشاب الضارة.

ـ ما زلت أجد صعوبة في تصديق كل هذا.

ـ كانت لديك الرؤيا.

ـ لكن. . من دون مائك. .

ـ شراكة متكاملة؟

التسلية في صوته جعلت من الصعب عليها أن تركز على الكلام في العمل. وكانت ممتنة حين وصلا إلى العربة الصفراء الكبيرة حيث يجري معظم العمل. قالت: «لقد تمكّنت للتو من البدء بالدفع للجميع».

ـ لكن هذا لم يمنعهم من الحضور للعمل سابقاً صحيح؟

استدارت إليه من دون حذر مسبق.

ـ لست معتادة على مثل هذه. .

ـ الثقة؟

وكانت نظرته مستفزة ومتحدية فرفعت ذقنها بعناد، وقالت: «أيمكنك أن تستدعي الجميع كي أشرح لهم موضوع الدفع مجدداً؟ أود أن أوضح لهم أنني سوف أعوّضهم عن الأيام التي..».

ـ سنيوريتا.. سنيوريتا!

قالت أناليزا بدهشة: «ماريا تيريزا! ظننتك ذهبت منذ مدة».

ـ سنيوريتا ويلسون أحمل لك هذا.

ـ هدية لي؟ ما كان يجب أن تفعلي.. حقاً.

وأحست بالارتباك حين وضعت ماريا تيريزا صرة بين يديها.

تمتم رامون: «ألن تفتحيها؟ الجميع ينتظر».

نظرت أناليزا حولها بارتباك، مدركة أنها أصبحت فجأة محط اهتمام الجميع. وشدت الرباط عن الورق البني واتسعت عيناها وهي تتفحص المحتويات.

ـ لكن هذا..

كانت على وشك أن تقول إنه رائع. لكن حين نفضت القميص الأخضر الناعم، رأت أنه كبير جداً عليها، فطوت الجوانب بسرعة لتجعله يبدو أصغر حجماً.

رفعته قائلة: «إنه فعلاً جميل.. شكراً لك ماريا تيريزا!».

وأمسكتها لتطبع قبلة على وجهها الأسمر الضاحك.

هزّت ماريا تيريزا إصبعها بتوبيخ ساخر: «لا.. لا.. ليس هكذا سنيوريتا ويلسون!».

وأخذت القميص من بين يدي أناليزا ووقفت على أطراف أصابع قدميها لتضعه على صدر رامون.

ـ هكذا!

همست أناليزا: «لا أفهم.. أهو هدية لك؟».

قال بسخرية: «إنه قميص زفاف مايوركي».

وانحنى انحناءة رسمية لماريا تيريزا.

ـ ما هو؟

وضع يده على كتف أناليزا وأدارها قليلاً ليهمس في أذنها: «لقد أعطتك قميصاً تقليدياً.. من النوع الذي يلبسه الاسباني في حفل زفافه.. وانظري..».

وأشار إلى فتحة في الحرير: «تركت لك بعض قطب التطريز لتنهيها».

ـ لم أنهم.

دعاها بلطف: «اشكريها فقط. لا بد أنها تعمل عليه منذ أسابيع».

ـ لكن، ماذا سأفعل به؟

ـ ضعيه في درج خزانتك السفلى.. ألديك أدراج في الخزانة؟

ـ لا...

ـ ربما يجب أن تحصلي على واحدة.

وأدركت أناليزا أن همسهما طال بما يكفي.. فاستجمعت شجاعتها. واستدارت إلى ماريا تيريزا مبتسمة: «شكراً لك، إنها هدية جميلة حقاً، سأحتفظ بها على الدوام».

حذّرها رامون: «هذه ليست قطعة للمتحف. يفترض بك أن تستخدميها».

ـ سأستخدمها من دون شك.. إذا تزوجت يوماً.

قالت ماريا تيريزا وهي تمر بينهما: «تركت لك بعض القطب لتنهيها سنيوريتا.. لتأتيك بالحظ الجيد.. والكثير الكثير من الأولاد!».

وتذكرت أناليزا أن ماريا تيريزا رزقت بثلاثة عشر ولداً.. ووعدت نفسها بأن تكمل القطب.

سألت ماريا تيريزا وهي تنظر بلهفة إلى القرويين المنتظرين: «هل ستتفحص البئر الآن سنيور بيريز؟».

www.elromancia.com

نظر رامون إلى أناليزا: «أجل».

ـ بئر! هذا حقاً أكثر مما أستحق!

واشارت نظرته إلى أنها قد تكون محقة.

قال: «سيكون ملفتاً في الفناء، إضافة إلى دوره العملي».

سألت بعد أن رأت ما بناه لها القرويون: «متى حدث هذا؟».

تمتم: «هل هذه مفاجأة سارة؟».

ـ كيف أبقيته مخفياً عني؟

ـ لقد أخفوه بالأغصان المقطوعة.. فكري فيه كهدية.

وتذكرت القميص: «هدية أخرى.. لا أستطيع قبول أيّ هدية حتى يعلم الجميع أني سأدفع الأجور المتأخرة».

رفع رامون يديه: «لا تقلقي».

وساد الصمت بين القرويين وهو يتكلم، ثم قاطعه بعض الحضور.. فسألت أناليزا: «ماذا يقولون؟».

لاحظت ردّ الفعل السلبي بين القرويين، فقال يترجم لها: «ما من أحد مستعد للقبول».

ـ لكن يجب عليهم أن..

ـ لا تستطيعين إجبارهم على أخذ المال، يقولون إن نجاح الفينكا مكافأة كافية، وهم مسرورون لهذه الفرصة، ليردّوا شيئاً من كرم والدك.

فتحت أناليزا فمها ثم أقفلته مرة أخرى.. كانت رغبتها في الجدال على وشك أن تهجرها.. وكذلك أشباح الماضي، واستدارت ليسمع الجميع ردها: «غراتسياس.. لو اغراديسين كادا اوفو..».

دمدم رامون بصوت أجش: «أنا متأثر.. أنت تتعلمين بسرعة..».

ـ لدي أستاذ جيد.

ـ وأنت تلميذة رائعة.

وجعلتها لهجته الدافئة تشعر بحرارة تجتاح جسمها..

قاطعتهما ماريا تيريزا وهي تصيح: «والآن، البئر سنيوريتا ويلسون».

صفقت أناليزا بيديها بابتهاج: «إنه جميل! شكراً لكم جميعاً! وشكراً رامون!».

ووضعت يديها حول خصره، وضمته بتهور. وكان الإحساس الدافىء مغوياً بشكل خطير، ومع ارتفاع صيحات الاستحسان تراجعت لتسمع صوته يقول: «ماريا تيريزا.. ايل أونور أي أيل تويو».

وأمسكت ماريا تيريزا بمعصمها وأشارت إلى قبضة سوداء ضخمة.

سألت أناليزا رامون: «ماذا؟».

قال: «عليك سحب أول دلو ماء.. لجلب الحظ».

ودارت القبضة بسهولة، فهمست: «هل هو جاف؟».

وانخفضت زاويتي فمه وكأن ثمة مشكلة.

ـ أنا واثق من وجود شيء في الأسفل.

ومال فوق حافة البئر لينظر: «لكن إذا كان الدلو فارغاً..».

استقام ونظر إليها: «حرّكي القبضة بقوة أناليزا.. خاطري».

رنة صوته كانت خفيضة ومتحدية، فشدّت القبضة إلى الوراء: «حسناً.. إذا كنت واثقاً، فساعدني».

وتحرك بين الجمع: «بكل سرور».

وهبط عليهم صمت مترقب كالملاءة وهو يضع يده فوق يدها، ليديرا القبضة معاً. وتعالت الأصوات: «أريبا! أريبا!».

عندما وصل الدلو إلى النور وتأرجح عند أعلى الحبل، أمسكه رامون ولوّح به في الهواء مع تعالي الهتافات.

قالت أناليزا وهي تشد ذراعه: «قلت لك، ما من ماء».

أصرّ بقوة: «وأنا أقول إنك مخطئة.. في هذا وفي أمور كثيرة أخرى».

قالت بإصرار: «دعني أرى».

وبات الصمت الآن متوتراً ومترقباً. ماذا لو أن البئر جاف؟ ماذا لو أن

www.elromancia.com

تمديدات الماء فشلت؟ ولم تستطع أناليزا تحمّل هذه الفكرة.. ورمقت رامون بنظرة متلهفة.. ومدت يدها.. لا شيء سوى القليل من الماء، وزمّت شفتيها، وهزت رأسها.

دمدم رامون بصوت منخفض: «تفحّصيه مرة أخرى».

ردت بحدة: «لقد تفحصته.. بالكاد فيه ما يكفي لتحضير فنجانين من القهوة..».

وابتسم لها: «أفكر بشيء آخر غير القهوة».

ـ هذا ليس وقتاً للمزاح.

ونظرت بلهفة إلى القرويين المنتظرين.

ـ إذن، أنت ما زلت لا تثقين بي؟

ـ وما دخل هذا..

أمسك بمعصمها وأمرها: «أعيدي يدك إلى داخل الدلو».

عبست وحاولت مجدداً، فحذّرها: «لا تستسلمي».

فجأة جمدت يدها، وحدّقت إلى عيني رامون مباشرة.

ـ هل هذه مزحة؟

ـ أنا لا أضحك.

ـ ما هذا إذن؟

وأطبقت يدها على خاتم وتمكنت من أن تقول بضعف: «إنه من الألماس والزمرد».

ـ صحيح.. أعطني إياه.

وفيما هي تعطيه الخاتم، وقعت أشعة الشمس على الحجر الكريم، فانعكست الوان قوس قزح.

تمتمت: «لم أرَ شيئاً مماثلاً في حياتي».

قال ساخراً: «آمل ألاّ تكوني قد رأيت».

ـ لمن هو؟

ـ لأم أولادي.

واختار الإصبع المناسب ودسّه فيه وهو ينظر إلى أعماق عينيها، وكرر بثبات: «لأم أولادي».

ووضع إصبعاً على شفتيها ليتمكن من إكمال كلامه: «والمرأة التي أحب».

واستدار قليلاً تجاوباً مع هتافات القرويين. لكن حين عاد إليها، رأت أناليزا الحب الحار في عينيه.

ـ أناليزا! أتمنحيني شرف أن تكوني زوجتي؟

ـ أستطيع الرد على هذا بالاسبانية.

ـ أنا أنتظر.

ـ سي ميا آمور.

* * *

كان ثوب الزفاف أول شيء رأته أناليزا حين استيقظت.. غلالة رقيقة من أجود أنواع الدانتيل الأبيض، يتلاعب بها النسيم القادم عبر مصاريع النوافذ المفتوحة جزئياً... كان القسم العلوي من الرداء الذي أخذ شكل سترة ترتديها تحت الفستان الشفاف، من الحرير الأزرق. وكان رامون قد أرسلها إلى باريس لتجده، وها هو أجمل فستان في العالم أصبح ملكاً لها.

كانت قد خططت لهذا اليوم في أدق تفاصيله.. وهذا الصباح الصيفي الذي لا مثيل له يبشر بيوم رائع.. يوم زفافها.

تمطت بتكاسل وهي تراجع تفاصيل هذا اليوم المليئة بالسعادة.. لم يعد لديها ما تفعله سوى الاستحمام، وارتداء الفستان لتنتظر بعدئذ العربة الأثرية التي اختارها رامون لتأخذها إلى الكنيسة في القرية.

وقع الحوافر جعلها تستدير وتنظر إلى الساعة.. من المفترض أن تصل العربة عند منتصف النهار ولم تبلغ الساعة بعد التاسعة.

قفزت من السرير، وأسرعت إلى النافذة.. رأت عربة مفتوحة لماعة

www.elromancia.com

يجرّها زوج من الجياد الأندلسية. . أما السائق فلم تستطع أن ترى منه سوى قمة قبعته السوداء المتسعة الأطراف. . ولم يرد عليها حين انحنت من فوق حافة الشرفة ونادته.

ارتدت بسرعة بنطلونها وقميصها، ودست قدميها في خفيها، وسارعت لتخرج من غرفة نومها.

ظللت عينيها وهي تسرع إلى الفناء.

نظرة واحدة إلى العربة، جعلت من الصعب عليها أن تحتوي الإثارة التي تملكتها. كان الجوادان يلمعان، فيما انسدل شعر عنقيهما الطويل في موجات حريرية على جلدهما الأبنوسي الأسود.

قالت مقترحة: «ألا ترغب في الدخول؟».

توقّفت عن الكلام حين استدار السائق لينظر إليها. وكان التعبير على وجه سائق رامون مزدرياً كحاله دائماً. رؤية السائق جعلت أناليزا مضطربة، لكنها لم تكن تنوي السماح لأي شيء بأن يعكر صفو هذا اليوم.

ـ الوقت لا يزال مبكراً، وإذا أردت إطلاق الجوادين فيمكنهما الذهاب إلى الزريبة الصغيرة.

قال ببرود: «يجب تزيين العربة سنيوريتا. . وكذلك الجوادين. .».

قالت بحزم: «حسن جداً. . على الأقل خذهما لينتظرا في الظل».

ولم تستطع منع نفسها من التساؤل عن سبب ازدراء الرجل لها. . فرامون يعامل موظفيه بالكياسة نفسها، ومهما كان مركزهم. وقدرت أن يكون السائق في أواسط الخمسين. كان وجهه دائم التجهّم وكأن حياته تفتقر للسعادة.

استلقت في المغطس مسترخية، وابتسمت تصغي إلى الحركة المتنامية في الفناء. لقد وصلت ماريا تيريزا وبدأت تعمل في المطبخ. فحفل الاستقبال سيقام في الفينكا. . ومع بدء إنتاج البرنقال، تحولت المناسبة إلى احتفال مزدوج.

كانت قد اختارت أن تشارك القرويين يومها بدلاً من إقامة احتفال أكبر في الكاتدرائية في ماهون. حبها لرامون لا يحتاج إلى مراسيم معقدة. . فيكفي أن تكون مارغريتا إشبينتها والصغيرة أوريليا ناثرة الزهور. وأغمضت عينيها وهي تحاول أن تتخيّل أولادها وأولاد رامون.

خرجت من المغطس، وأخذت منشفة ناعمة وتقدمت حافية القدمين إلى قمة السلم.

ـ ماريا تيريزا. . هلاّ صعدت لتساعديني على ارتداء ملابسي؟

لكن، وقبل أن تتلقى الرد، سمعت قرعاً على الباب الأمامي. . فنادت: «لا بد أنه سائق السنيور بيريز. أيمكنك أن تردّي عليه أولاً؟ تأكدي من حصوله على كل ما يريده».

وانتظرت أن ترد ماريا تيريزا. لكن بعد بضع دقائق، لم ترها، فارتدت تنورتها بسرعة، ولم تستطع أن تقاوم رغبتها في الوقوف أمام المرآة قبل أن تتجه إلى الباب وتنادي مرة أخرى.

ـ هل أستطيع أن أساعد؟

وسرى الثلج في شرايينها. من المفترض أن تكون كلوديا قد غادرت الجزيرة. . إذ دفع رامون مبلغاً كبيراً من المال ليتأكد من هذا، وليمتلك حقوق الصيد القديمة التي تملكها والمشتركة بين شاطئيهما. . وشهقت أناليزا وهي تحدق إليها.

ـ من أين لك هذا؟

كان العقد الماسي الذي وضعته حول عنقها قد وصل مساء الأمس في وقت متأخر. إنه هدية الزفاف من رامون.

ردت كلوديا بابتسامة خفيفة.

فقالت أناليزا بإصرار: «أعطني إياه».

ومدت يدها متوترة.

وقفت كلوديا أمام المرآة تبدي إعجابها بالأحجار الكريمة اللماعة على

www.elromancia.com

عنقها، وشخرت ساخرة: «لا أعتقد أنني سأفعل».

غضبت لرؤية معذّبة أمها تتلاعب بهدية رامون، فقالت بحدّة: «لقد وافقت على مغادرة الجزيرة».

رفعت كلوديا يداً ناعمة ولوّحت بإشارة عدم اكتراث.

ـ يحقّ لي أن أعيد النظر، مثلك تماماً. ربما لم أطلب ما يكفي لحقوق الصيد.. ربما سيرضيني هذا. إنه جميل جداً..

ـ لكنه ليس لك.

ـ أنت صريحة جداً.. صريحة كثيراً.

ـ إذا كنت تعنين أنني أقول الحقيقة، فأنت محقة. أعيديه إلي.. الآن.

وبعبوس، رمت كلوديا العقد على طاولة الزينة وكأن لا قيمة له.

ـ ألا يجب أن تستعدّي؟ أنت لا تريدين أن يفوتك الزفاف.

ردت أناليزا: «وأنت لا تريدين أن تفوتك الطائرة.. سأنادي ماريا تيريزا لمرافقتك إلى الخارج».

ـ لقد صرفتها.

ـ ليس لك الحق..

ـ لا تجرؤي أبداً على أن تقولي لي ما هي حقوقي! على الأقل، أمك عرفت حدودها.

قاطعتها أناليزا ببرود: «أجل.. لكنني لست كأمي.. وأنا أطلب منك المغادرة».

ـ سنيورا فويغو مونتويا ليست على استعداد لأن تذهب.

والتفتت أناليزا لترى سائق رامون يقف بالباب.

وسألت كلوديا بانتصار: «لماذا تبدين مندهشة هكذا؟».

ـ ظننت أن الدون الفونسو..

وصمتت وقد أدركت ما يجري.

وصاحت كلوديا بسخرية: «دون الفونسو؟ ذلك العجوز الذي أفل

نجمه؟ أتصورتِ أنني والدون الفونسو..؟

وفكرت أناليزا: على الأقل كان الدون الفونسو رجلاً مهذباً.. ورفعت كتفيها وهي تنظر بثبات إلى الاثنين: «أنا آسفة، لكني مشغولة جداً الآن».

قالت كلوديا: «كنت مشغولة».

وتفحصت أظافرها الحمراء: «لقد ذهب الجميع إلى الكنيسة.. ما عداك».

قالت أناليزا بثقة: «ماريا تيريزا لن تغادر أبداً من دوني».

فردّت كلوديا: «ماريا تيريزا تفعل ما أقوله لها.. لقد خدمت عائلتها عائلتي أجيال عدة.. وهي تعمل لحسابك.. منذ متى؟».

ـ لا أستطيع أن أصدق أنها..

ـ لم تعودي واثقة من نفسك الآن. أليس كذلك؟

ـ لكن رامون..

ـ ينتظر في الكنيسة، والابتسامة مرتسمة على شفتيه المتعجرفتين.. ينتظر عروسه.

وصمتت أرملة والد أناليزا لتسمح لتأثير كلامها أن يصل إلى مرماه قبل أن تتابع: «لكن حين توقّعين على بيع حصتك من حقوق الصيد التي اشتراها مني، سيتحوّل السنيور رامون دي كرانزيا بيريز إلى متسوّل في الشارع».

ضحكة أناليزا الخشنة القصيرة أجفلتهما: «أنت حقاً لا تعرفين شيئاً عن رامون.. أو عني.. أليس كذلك كلوديا؟».

ـ وقعي على هذا، وسنذهب في طريقنا.

وخطت إلى الأمام وهي تبرز وثيقة رسمية، وتبعها السائق بخطوة شريرة.

قالت أناليزا لهما ببرود: «مستحيل».

مع تقدم كلوديا إلى الأمام، تجنبتها أناليزا وركضت لتنزل السلم، تقطع المطبخ لتصل إلى الفناء. أعمتها أشعة الشمس للحظة.. فتوقفت.

www.elromancia.com

لكنها سمعت وقع الأقدام من المطبخ، فأسرعت تركض مجدداً.

كان حذاء العرس يعيقها، وأربطته الرقيقة تتطلب وقتاً لتفك.. وقت لا تملكه. ركضت في الطريق الترابية، وكادت تصل إلى حافة الصخور حين سمعت نباحاً هستيرياً.. وتوقفت لاهثة، واستدارت تفتش بين الصخور لتجد فودج. ورأته.. برميل صغير من الإخلاص، يحاول منع كلوديا وعشيقها من التقدّم. أحس الكلب العجوز أن أناليزا توقّفت، فاستدار ينظر إليها وهو يلوّح بذنبه متردداً، وتقدم ليجري خلفها. عندئذ بدا لأناليزا أن المشهد كله يسير ببطء، حيث انحنت كلوديا لتلتقط كرة حمراء وصوّبت..

واصطدمت الكرة بالصخور وتوقّف فودج يراقب تقدّمها البطيء، ثم اختفت تماماً في شق مفتوح.. فركض الكلب العجوز خلفها.

نادت كلوديا: «من الأفضل أن تلحقي به قبل أن يغرق.. أوه..».

ولوحت بالوثيقة نحوها ثم أضافت: «لا تقلقي بشأن هذه.. سأكتفي بالعقد بدلاً منها».

ولم تستطع أناليزا أن تفعل شيئاً سوى أن تكوّر يديها في قبضتين وهي تراقبهما يرحلان.. لا بد أن سائق رامون عمل لحساب والد كلوديا في الماضي.. وأحست بالغضب من نفسها لأنها لم تفكر في هذا من قبل. وحوّلت تفكيرها بعناد إلى الحاضر وتمتمت: «لا تقلق فودج.. أنا قادمة!».

لكن، حتى وهي تتعثر فوق الصخور، تمكّنت من أن تبتسم.. فكلوديا من الماضي ورامون هو المستقبل.

مدت أناليزا يدها بحذر في الفتحة لتدرك أن فودج وقع صدفة في نوع من الأقبية تحت الأرض. نزلت بحذر شديد إلى أن وجدت موطىء قدم فوق درجة سلم غادرة، وخاضت في الوحل ما جعل إنقاذ العجوز خطيراً للغاية.

عندما تبيّنت نور عينيه البنيتين لاحظت أن القبو مليء بماء البحر. إذا لم تأخذ حذرها، فستنزلق إلى الأسفل مباشرة، وتعلق مع الكلب.. لم تتوقف

لتفكر، بل راحت تفك القسم العلوي من ثوبها الغالي الثمن، وخلعته كما فكت رباط حذائها الأبيض، واستخدمت كعبيه لتفتت الطحالب ورواسب البحر إلى أن صنعت مكاناً مسطحاً. وضعت القسم العلوي من الفستان على الأرض وداست عليه...

نباح فودج أعلمها أنه يزداد تعباً. وكان الموج يندفع بقوة إلى القبو، ما يعني أنه يمكن أن يضيع في أي لحظة. إنها تحتاج إلى حبل.. إلى شيء تربطه في طوقه لترفعه إلى السلم. وفتشت حولها في العتمة بيأس، فوقعت عيناها على تنورتها المشبعة بالماء. الطرف الحريري ممتاز لما تفكر فيه، فانتزعت الكشكش المزين باللؤلؤ، ولفته ليصبح على شكل حبل، وجربته.

تمتمت برضى: «عظيم».

نزلت كل درجة من السلم بروية، وهبطت ببطء إلى القبو وركعت على حافة الماء قرب الكلب المرتجف.

ـ أناليزا! أناليزا! حمداً لله! ماذا تفعلين؟

ـ رامون!

التفت أناليزا إلى دائرة أشعة الشمس فوق رأسها.

ـ لقد وقع فودج هنا.

وراقبته وهو يخلع بسرعة سترته القصيرة، وقميص الزفاف التقليدي المطرز بالحرير الأسود والذي جاهدت لتضيف إليه القطب الأخيرة.

نادى: «كيف حاله؟ هل هو مصاب؟».

نادت: «لا.. إنه بخير.. إنه هنا معي».

ـ ابقي حيث أنت بالضبط.. لا تتحركي.

ـ كيف وجدتنا؟

قال باختصار: «ماريا تيريزا».

رمى نفسه في الماء قربها، وشد أناليزا إلى أحضانه وهو يكمل: «ركضت طوال الطريق إلى الكنيسة لتجدني.. يا للمسكينة! وما إن قالت لي ما حدث

حتى جئت لأجدك».

وصمت ليدفن وجهه في شعرها: «لم أعرف ماذا حدث لك.. كنت خائفاً».

- أنت.. خائف؟

لكن حين تراجعت قليلاً رأت عمق الألم في عينيه.

وقال بحرارة: «يا إلهي! ماذا لو أذياك؟».

وأرجع رأسه إلى الوراء بعذاب: «كم كانا ماكرين.. انتظرا إلى أن ذهب الجميع إلى الكنيسة.. حاولا خداع ماريا تيريزا.. كل هذا لينفردا بك».

وتمتم شاتماً بعنف: «كدت أفقد عقلي قلقاً. نصف مدعوّينا خرجوا ليفتشوا الخط الساحلي».

والتهمتها عيناه وكأنه لا يثق بأن يتركها تغيب عن نظره مرة أخرى، ثم لاحظ حالتها.. مغطاة بالوحل والطحلب وقد تمزّق ثوبها.

- لدينا موعد هام جداً يجب أن نحافظ عليه أولاً.

ووضع فودج تحت ذراع، ولف الأخرى بحزم حول خصر أناليزا، ليحملهما معه إلى الأعلى.

سألها حين أصبحا في الخارج: «هل هذا فعل كلوديا؟».

قالت: «لقد رمت الكرة.. ولحقها فودج».

وانهارت فوق الرمال الفضية مبللة بين الصخور.

- أرادتني أن أوقّع..

- ولم توقّعي؟

- أخذت العقد الماسي بدلاً عن هذا.

ركع قربها وأخذها بين ذراعيه: «أنا آسف كواريدا.. أعرف كم أحببته. لكن العقد يمكن استبداله.. أما أنت فلا».

- كنت أعلم أن كلوديا تكرهني.. لكنني لم أفكر أبداً..

- حين عرفت أين ذهب مال أبيك.. طفح كيلها.

وأمسكها بشدة: «حين رفض دون الفونسو التعاون معها، جاءت بعشيقها رافاييل، الذي بقي سائقي لمدة..».

ورأت أن عينيه السوداوين ضاقتا لفكرة أن أحد موظفيه خانه، وسألت: «لكن ما حاجتها إلى رافاييل؟».

- لتهديدك باستخدام القوة إذا لم تنجح في إخافتك.

- كان سائقك كالقطة مقارنة بكلوديا.

ودنت منه أكثر فقال: «من يعرف إلى أي حد كانا ليصلان حين رفضت التوقيع؟ ولو لم يريا أن العقد مربح أكثر من الرهينة..».

- رهينة!

- حسن جداً.. أنا أعربت عن مشاعري نحوك للعلن.. أنت عندي أغلى من كل ما أملكه.. والعالم كله يعرف هذا.

- ولماذا لم تتخلص من سائقك قبل الآن؟

- لم أكن أعرف نواياه.. وحين وظفته..

- تابع..

- هذه جزيرة صغيرة أناليزا.. ولم يستطع أن يجد عملاً بعد أن مات والد كلوديا.. فجاء إلي.

- إذن.. لم تكن تعرف بعلاقتهما؟

- ولا أظن أن والدك كان يعرف.

تمتمت أناليزا وهي تضع آخر قطعة من الأحجية في مكانها.

- طبعاً.. كان يجب أن أعرف.

للحظات قليلة بقي رامون يحتضنها، ثم أجفلهما معاً نباح فودج.

قال رامون: «ها هو يذهب».

ومن دون أي إشارة امتنان قفز الكلب مبتعداً عنهما، متجهاً نحو الفينكا.

www.elromancia.com

قالت أناليزا: «أنت مغطى بالرمل».

وتمتعت برؤية رامون يتمدد بطوله على الرمل.

فقال يذكّرها: «وأنت مغطاة بالوحل».

واستند إلى مرفقه ليمرر أصابعه في شعرها الأسود الكثيف.

فتمتمت بصوت أجش: «هل معنا وقت؟».

ـ للأسف.. الضيوف بالانتظار.. يا إلهي.. أنت مبتلة.

والتوت شفتاه أسفاً.

ـ غطي نفسك كويريدا قبل أن أفقد السيطرة على نفسي.. لا يمكن أن نترك ضيوفنا منتظرين إلى الأبد.

وقفز على قدميه وهو يبتسم لها.

***

كانت ماريا تيريزا تفتش عنهما، وخرجت مسرعة من الفينكا لحظة دخلا الفناء وأصرت على لف أناليزا بوشاحها الأسود.

ـ تعالي سنيوريتا.. أسرعي.. أسرعي!

بعد أن تركها رامون بين أيدٍ آمنة، ذهب لشكر كل من ساعد في حملة البحث عنها.

رأت أناليزا الفينكا مليئة بالنساء القلقات اللواتي أسرعن بها إلى الطابق العلوي، حيث وجدت حماماً دافئاً ومعطراً بانتظارها.. في ما بعد، أخذت تفتش في خزانتها علّها تجد ما ترتديه.. وسمعت دقاً على الباب، فردت من دون انتباه: «نعم؟».

وارتدت فستاناً أزرق طويلاً من الحرير الناعم المزين بالزهور.

أطلّت ماريا تيريزا برأسها مبتسمة. لكن، حين رأت ما تفعله أناليزا هزّت رأسها بقوة: «لا.. لا سنيوريتا ويلسون. لقد جئنا لك بشيء مميز تلبسينه».

ترددت أناليزا وهي ترى النساء الواقفات خلف ماريا تيريزا، وأشارت إليهن بالدخول. فأدخلت ماريا تيريزا شابتين إلى الغرفة.. كانتا تحملان أجمل فستان شاهدته أناليزا في حياتها.. فستان من الحرير الثقيل، عاجي اللون، مطرز بحبات صغيرة من اللؤلؤ التي تلمع وكأنها نور القمر فوق البحيرة.

زفرّت أناليزا وقالت: «إنه مذهل تماماً».

لكن لا بد أنه كنز إحداهن، فهزت رأسها: «لا أستطيع أن أرتديه».

بدأت ماريا تيريزا تقول: «لكن سنيوريتا.. هذا فستان أمك.. ولا بد أنها ترغب في أن ترتديه».

ـ لكن أمي..

وصمتت لتبتلع بريقها، وحاول مجدداً: «لم تمتلك أمي يوماً..».

ـ كان من المفترض أن ترتديه يوم زواجها من والدك، دون بيدرو.

وجمدت أناليزا، وتشوّشت أفكارها.. بينما أخرجت ماريا تيريزا الجميع من الغرفة. وقبل مغادرتهن، وضعت الفتاتان الفستان فوق مفرش سرير أناليزا الأبيض.

بعد أن أغلقت النسوة الباب بهدوء، تابعت ماريا تيريزا شرحها: «قبل أن تقول كلوديا لوالدك إنها حامل، اشترى هذا الفستان لوالدتك لترتديه في عرسهما. لكنه لم يخرج أبداً من صندوقه الجميل.. ولا حتى من الأوراق التي لُفّ بها.. قبل اليوم».

حدّقت أناليزا إلى الفستان مجدداً. كانت آمال أمها بالمستقبل مرسومة كلها في الثوب الساحر.. ومالت إلى الأمام، تمرر أصابعها على القماش الجميل بأسى. لقد قال لها رامون أن تبني حياتها على أساس الماضي.

واستدارت نحو ماريا تيريزا: «هلاّ ساعدتني في ارتدائه؟».

وبإشارة من ماريا تيريزا عادت النسوة إلى الغرفة.. واستدارت أناليزا تواجههن: «هل أبدو على ما يرام؟».

وبّختها ماريا تيريزا: «على ما يرام؟ تبدين جميلة سنيوريتا ويلسون».

وتقدمت امرأة أخرى لتضع تاجاً من أزهار البرتقال على شعر أناليزا، فيما أضافت إحداهن طرحة من الدانتيل العاجي اللون نزلت بسحر على كتفيها.

وصاحت أناليزا: «شكراً لكنّ».

وصافحت قدر استطاعتها الأيدي الممدودة: «لقد أنقذتن عرسي».

قالت ماريا تيريزا: «وأنت أنقذت الفينكا».

***

توقّعت أناليزا أن ترى رامون في الكنيسة. لكن حين فتحت ماريا تيريزا باب الفينكا وجدته ينتظرها في العربة. كان يمتطي صهوة جواده الأسود الابنوسي اللماع، وقد عصفت عيناه بالشوق الحار حين لمحها في ثوب الزفاف لأول مرة.

وتأملته أناليزا كالمنومة مغناطيسياً وهو يرفع قبعته السوداء العريضة الأطراف وينحني فوق عنق داردو اللماع. ومع شرود نظرتها إلى ساقيه القويتين الممسكتين بالجواد بإحكام، علقت أنفاسها في حلقها. ثم رأت العربة، مزينة بالشرائط.. حتى أن عنقيّ الفرسين الأندلسيتين اللطيفتين، زيّنا بعقود من الزهور. وبدلاً من السائق المتجهم الوجه..

ـ انريكو جاهز!

صاح جرّاح الأشجار الماهر وهو يلوح في الهواء بقبعته التقليدية العتيقة.

وسألت ماريا تيريزا: «هل أنت جاهزة سنيوريتا فويغو مونتويا؟».

نادتها بهذا الاسم الذي يعتقد كل من في الجزيرة أنه من حقها.

أكدت أناليزا وهي تنظر إلى رامون: «جاهزة».

وفيما هي تستقر على مقعد العربة المغطى بالساتان الأبيض، تشابكت

نظراتهما.. وفي تلك اللحظة عرفت أنها تثق به من كل قلبها.. لا بل أكثر.. إنها تأتمنه على حياتها وحياة أولادهما.

كما عرفت مدى قوة حب رامون، البليغ أكثر من الكلمات.. الأغلى من الألماس.

***

www.elromancia.com